منهجية البحث في الموضوع القرآني

بحث مقدم إلى مؤتمر التفسير الموضوعي (واقع وآفاق)

المنعقد في جامعة الشارقة في الفترة ١١ - ١٢/٥/١٤٣١ هـ

إعداد الدكتور

حامد يعقوب الفريح

جامعة الدمام – كلية التربية

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المقدمة

الحمد الله الذي أنزل القرآن وجعله نبعاً صافياً لا يغور ماؤه، ولا ينضب معينه، والصلاة والسلام على خير من تلقى القرآن وحفظه وتلاه، وفهمه وعمل بمقتضاه، محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين وبعد:

فإن شرف العلم من شرف المعلوم، ولما كان علم التفسير يتعلق ببيان المراد من كلام الله تعالى، كان هذا العلم أشرف العلوم وأجلّها، ولذلك انصرفت إليه همم العلماء قديماً وحديثاً، ينهلون من معينة، ويستضيئون بنوره، ويسترشدون بهديه، هذا وقد تعددت أساليبهم في تفسير القرآن وتنوعت بين مطول ومختصر، ومنهم من اعتنى بجانب دون آخر، وكان من هذه الأساليب في التفسير، أسلوب التفسير الموضوعي، وهو علم شريف قديم في نشأته وأصوله، جديد في تأصيله وتقعيده، وقد ذكر العلماء لهذا الأسلوب ألواناً متعددة على اختلاف فيما بينهم في العدد والتسمية[١]، ومن هذه الألوان أن يتناول الباحث موضوعاً من خلال القرآن الكريم، وهو من أبرز مجالات التفسير الموضوعي، وقد اتفق عليه جلّ من كتب في هذا المجال، وإذا أطلق التفسير الموضوعي فلا يكاد ينصرف الذهن إلا إليه.

وهذا اللون من التفسير وُجدت بذوره الأولى منذ عهد النبوة، لكنه لم يؤصل ويتخذ منهجاً واضحاً ومحدداً إلاّ في العصر الحاضر عندما دُرّست هذه المادة في كلية أصول الدين في جامعة الأزهر[٢]، وقد قدمت فيه دراسات متعددة(٣)، تتفق في بعض جوانب هذا المنهج وتختلف في أخرى. ولما كان لي شرف تدريس مادة التفسير الموضوعي لمدة لا بأس بها(٤)، وحيث أني أجبت أن أصيب بسهم في هذا الخير الوافر، وحرصاً مني على المشاركة في مؤتمر التفسير الموضوعي (واقع وآفاق) الذي سينعقد في جامعة الشارقة في الفترة ١١- ١٢/٥/١٤٣١هـ، كانت هذه الدراسة في (منهجية البحث في الموضوع القرآني) والذي هو أحد محاور هذا المؤتمر، وسوف أجعل هذه الدراسة تنتظم بإذن الله في تمهيد وثلاثة محاور.

---

(١) ستأتي الإشارة إلى هذا الاختلاف في قسم التمهيد.
(٢) أنظر: مباحث في التفسير الموضوعي لشيخنا الدكتور مصطفى مسلم (ص ١٧).
(٣) سيأتي الحديث عن هذه الدراسات في المحور الأول من هذا البحث.
(٤) وذلك في قسم الدراسات القرآنية بكلية التربية بجامعة الدمام.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

التمهيد : ويشتمل على بيان المراد بالتفسير الموضوعي، وأهميته وحاجة الأمة إليه، والإشارة إلى أهم ألوانه، وتعريف المنهج والفرق بينه وبين الاتجاه:

المحور الأول: ويشتمل على عرض الدراسات السابقة التي تناولت منهجية البحث في الموضوع القرآني حسب التسلسل الزمني.

المحور الثاني: ويشتمل على الخطوات والمراحل التي يجب السير فيها للكتابة في موضوع من خلال القرآن.

المحور الثالث: ويشتمل على بيان القواعد والضوابط التي ينبغي الالتزام بها لمن أراد الكتابة في التفسير الموضوعي بشكل عام، وبهذا اللون من التفسير بشكل خاص.

هذا وأسأل الله العلي القدير أن يجعل هذا العمل صالحاً متقبلاً ،وأن ينفع به كل من قرأه وسمعه ،إنه سميع مجيب.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

التمهيد: ويشتمل على النقاط التالية:

أولاً: تعريف التفسير الموضوعي:

لابد لنا قبل أن نكتب في منهجية البحث في الموضوع القرآني أن نتعرف على المراد بالتفسير الموضوعي، ثم على الموضوع القرآني، الذي هو أحد ألوانه، لأنه لا يمكن أن نكتب عن أمر حتى نتصوره بشكل واضح ، فالتفسير الموضوعي مصطلح مركب من جزأين، فإذا أردنا أن نعرّفه لابد من تعريف كل جزء على حده، ثم نعرّف المصطلح باعتباره مصطلحاً مركباً.

لو رجعنا إلى كتب اللغة والمعاجم، لوجدنا أن التفسير مصدر من الفعل فسّر بتشديد السين الذي هو مضعّف فسر بالتخفيف الذي مصدره الفسر، وهو بمعنى الكشف والبيان والإيضاح(١).

أما من حيث الاصطلاح، فقد ذكر العلماء تعريفات كثيرة(٢)، منها المطول ومنها الموجز، وهي وإن اختلفت عباراتها، لكن معانيها متقاربة، ويمكن أن نصوغ من مجموعها تعريفاً مختصراً للتفسير فنقول هو: العلم الذي يتوصل من خلاله إلي بيان المراد من كلام الله في القرآن الكريم حسب الطاقة البشرية ، أما الموضوعي فنسبة إلى الموضوع، والموضوع مشتق من الوضع الذي هو بمعني الحط والإلقاء وإثبات الشيء في المكان وتيسيره للانتفاع به(٣).

وهذه المعاني ملاحظة في التفسير الموضوعي ، حيث أن الباحث يلتزم موضوعاً معيناً في القرآن لا يفارقه حتى يفرغ منه، بخلاف التفسير التحليلي فإن المفسر يلتزم بترتيب المصحف فينتقل بين موضوعات مختلفة، وأيضاً فإنّ الباحث الذي يجمع الآيات القرآنية التي تتناول موضوعاً واحداً من مواضع مختلفة من القرآن، ويؤلف بينها ،ويجعل منها موضوعاً متناسقاً فإنه بذلك يقرب دلالات القرآن وهداياته للناس وييسرها لهم لكي ينتفعوا بها في حياتهم العاجلة والآجلة.

أما الموضوع اصطلاحاً: فهو قضية تتعلق بجانب من جوانب الحياة في العقيدة أو السلوك الاجتماعي أو مظاهر الكون تناولها القرآن بأساليب متعددة(٤).

---

(١) أنظر: لسان العرب (٥/٥٥)، ومعجم مقاييس اللغة (٤/٥٠٤)، والقاموس المحيط (٢/١٥٦).
(٢) أنظر: البرهان في علوم القرآن (١/١٣)، والبحر المحيط (١/٢٦)، والإتقان (٢/٢٢١)، والتحرير والتنوير (١/١١).
(٣) أنظر: لسان العرب (٨/٣٩٦)، ومعجم مقاييس اللغة (٦/١١٧)، ومفردات ألفاظ القرآن (ص ٨٧٤)، والتحرير والتنوير (٤/١٢)، (٢٧/٢٤١).
(٤) أنظر: مباحث في التفسير الموضوعي (ص١٦)، المدخل إلى التفسير الموضوعي للدكتور عبد الستار فتح الله سعيد (ص٢٠).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أما التفسير الموضوعي: فقد أورد له الباحثون تعريفات كثيرة[١] لا يتسع المقام لبسطها والتعليق عليها، لكن يمكن إيراد جملة من الملحوظات حول هذه التعريفات:

أولاً: اختلف الباحثون في تسمية هذا التفسير، فبعضهم يسميه علماً[٢]، وآخرون يعدّونه منهجاً[٣]، بينما ينكر بعض الباحثين أن يكون التفسير الموضوعي منهجاً، ويراه وسيلة من وسائل التفسير[٤].

ثانياً: بعض هذه التعريفات وردت بشكل مختصر، وبعضها مطول، فهو إلى الشرح أقرب منه إلى التعريف الذي ينبغي أن يكون بعبارات محددة[٥].

ثالثاً: بعض هذه التعريفات ينطبق على لون معين من ألوان التفسير الموضوعي وهو الموضوع القرآني، ولا تنطبق على الألوان الأخرى[٦].

رابعاً: اقتصرت بعض التعريفات على خطوة الجمع للآيات القرآنية للكشف عن موضوعاتها[٧]، بينما تعريفات أخرى أضافت خطوات بعد الجمع كالترتيب والتفسير والتعليق والاستنباط[٨].

خامساً: أغلب هذه التعريفات أشارت إلى أن الهدف من هذا التفسير هو الكشف عن موقف القرآن نحو قضية من القضايا.

وبعد ذكر هذه الملحوظات على التعريفات التي أوردها الباحثون، يمكن أن اجتهد قدر وسعي وطاقتي في وضع تعريف للتفسير الموضوعي فأقول: هو المنهج الذي يتوصل من خلاله إلى الكشف عن مقاصد القرآن الكريم وهداياته من خلال النظر في الآيات القرآنية التي يجمعها موضوع واحد.

ثانياً: أهميته وحاجة الأمة إليه:

---

(١) أنظر: مباحث في التفسير الموضوعي (ص١٦)، دراسات في التفسير الموضوعي للدكتور عبد المنعم القصاص (ص٢٧).

(٢) أنظر: المدخل إلى التفسير الموضوعي (ص٢٠)، فتح الرحمن في التفسير الموضوعي للدكتور توفيق علوان (ص٤٣).

(٣) أنظر: التفسير الموضوعي نظرية وتطبيقا للدكتور أحمد رحماني (ص٤٨)، والتفسير الموضوعي في كفتي الميزان للدكتور عبد الجليل عبد الرحيم (ص٢٤).

(٤) أنظر: اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر الهجري للدكتور فهد الرومي (٣/٨٦٦).

(٥) أنظر البداية في التفسير الموضوعي للدكتور عبد الحي الفرماوي (ص٥٢).

(٦) أنظر: المدخل إلى التفسير الموضوعي (ص٢٠).

(٧) أنظر: المرجع السابق (ص٢٠).

(٨) أنظر: البداية في التفسير الموضوعي (ص٥٢).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ذكرنا في المقدمة أن التفسير الموضوعي كانت بذوره الأولى موجودة منذ عهد النبوة، لكنه لم يؤصل ويتخذ منهجاً واضحاً إلا في العصر الحديث، وذلك لوجود دواعي كثيرة أدت إلى ظهوره واهتمام العلماء به، ومن أهم هذه الدواعي أهمية هذا اللون من التفسير في الوقت الحاضر وحاجة الأمة إليه، وذلك يتجلى من خلال أمور كثيرة ذكرها العلماء بين موجز مختصر لها، وبين مفصل مسترسل فيها[(١)]، وسوف ألخصها في نقاط سريعة:

(١) تحقيق الدراسات القرآنية المتخصصة في مجالات مختلفة.

(٢) إبراز جوانب جديدة من إعجاز القرآن الكريم وخصوصاً الإعجاز العلمي.

(٣) الرد على الشبهات والافتراءات التي يثيرها الأعداء حول القرآن الكريم.

(٤) إيجاد الحلول القرآنية لكثير من مشكلات الأمة الإسلامية في كافة المجالات.

ثالثاً: ألوان التفسير الموضوعي[(٢)]

اختلفت آراء الباحثين في تحديد ألوان التفسير الموضوعي، فنجد مثلاً الدكتور السعيد قد أقتصر على لون واحد وهو الموضوع القرآني، وجعل له إطارين، إطاراً عاماً سماه التفسير الموضوعي العام، وهي الموضوعات التي لا يربط بينها إلاّ وحدة الغاية، ومثل له بآيات الأحكام وذكر أن هذا لا يدخل في التفسير الموضوعي من الناحية الاصطلاحية، وإطاراً خاصاً سمّاه التفسير الموضوعي الخاص، وهي الموضوعات التي تقوم على وحدة المعنى والغاية، ومثّل له بموضوع (اليهود في القرآن)، ونفى إدخال السورة ضمن ألوان التفسير الموضوعي[(٣)].

وبعض الباحثين [(٤)] أقتصر على لونين فقط وهما (الموضوع القرآني، والسورة القرآنية).

---

(١) راجع في بيان أهمية التفسير الموضوعي : المدخل الى التفسير الموضوعي (ص٤٠)، مباحث في التفسير الموضوعي (ص٣٠)، التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق للدكتور صلاح الخالدي (ص٥٦)، التفسير الموضوعي التأصيل والتمثيل للدكتور زيد عمر العيص (ص٨٧).

(٢) بعض الباحثين سماها مجالات، وبعضهم سماها أنواعاً، ولا مشاحة في الاصطلاح

أنظر: التفسير الموضوعي التأصيل والتمثيل (ص١١٤)، وفيض الرحمن في ا لتفسير الموضوعي (ص٢٨٣).

(٣) أنظر: المدخل إلى التفسير الموضوعي (ص٢٤ – ٢٥).

(٤) أنظر: التفسير الموضوعي للدكتور أحمد الكومي (ص٢٢)، ومنهجية البحث في التفسير الموضوعي للدكتور زياد الدغامين (ص١٤) حيث أستبعد كل منهما المفردة القرآنية.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وأكثر الباحثين[١] ذكروا الألوان الثلاثة للتفسير الموضوعي (الموضوع، والسورة، والمصطلح)، وبعضهم(٢) ذكر لوناً رابعاً وهو (القرآن في جملته)، ولا أراه لوناً جديداً، وإنما يدخل تحت الموضوع القرآني.

وأضاف الدكتور زيد عمر[٣] ثلاثة مجالات أخرى للتفسير الموضوعي وهي (الموضوع في سورة[٤]، والأدوات، والمقالة التفسيرية)، ليصبح المجموع ست مجالات.

أما الدكتور توفيق علوان فقد اتجه اتجاهاً مغايراً في بيان أنواع التفسير الموضوعي، حيث قسمة إلى سبعة أنواع بحسب الوحدة المعنية في النظم القرآني ابتداءً من الحرف الواحد وانتهاء بالقرآن كاملاً[٥].

ونشير هنا بشكل موجز إلى أهم ألوان التفسير الموضوعي:

(١) **الموضوع القرآني**: وهو أن يعمد الباحث إلى موضوع ما يلحظ أن القرآن تعرض له بأساليب متنوعة، فيتتبع الموضوع من خلال سور القرآن ، ويجمع الآيات التي تناولت الموضوع، وبعد دراستها والإحاطة بتفسيرها يحاول الباحث استنباط عناصر الموضوع ثم يقوم بتقسيمه إلى أبواب وفصول ومباحث، ويربط ذلك كله بواقع الناس ومشاكلهم محاولاً إيجاد الحلول لها في ضوء هدايات القرآن[٦].

(٢) **السورة القرآنية**: وهو أن يختار الباحث سورة من القرآن، وبعد دراستها دراسة متأنية يحدد المحور الأساسي للسورة ، ثم يحاول أن يربط موضوعات السورة بهذا المحور من خلال المناسبات بين الآيات بحيث تبدو السورة وكأنها وحدة موضوعية واحدة رغم اختلاف قضاياها وموضوعاتها، وإذا كانت السورة طويلة يمكن تقسيمها إلى مقاطع ليسهل الربط بين مقاطعها وبين محور السورة[٧].

---

(١) أنظر على سبيل المثال: مباحث في التفسير الموضوعي (ص٢٣)، والتفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق (ص٥٩).

(٢) أنظر: وقفات مع نظرية التفسير الموضوعي للدكتور عبد السلام اللوح، بحث منشور في مجلة الجامعة الإسلامية بغزة، المجلد الثاني عشر، العدد الأول (ص٦٦).

(٣) أنظر: التفسير الموضوعي التأصيل والتمثيل (ص١١٤).

(٤) يقصد به اختيار موضوع من موضوعات السورة، وقد مثل له بموضوع (المستحقون للزكاة في سورة التوبة)، أنظر: المرجع السابق (ص٣٨٢).

وهذا اللون يختلف عن اللون السابق (موضوع من خلال سورة) حيث يتم تناول الموضوع من خلال السورة كاملة.

(٥) أنظر: فتح الرحمن في التفسير الموضوعي (ص٢٨٣).

(٦) أنظر: مباحث في التفسير الموضوعي (ص٢٧)، والتفسير الموضوعي للقرآن الكريم (ص٢٣).

(٧) أنظر: التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق (ص٦٤)، ومباحث في التفسير الموضوعي (ص ٢٨).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

(٣) **المصطلح القرآني أو المفردة القرآنية**: وهي أن يختار الباحث لفظة أو مصطلحاً يكثر وروده في القرآن، فيتتبع هذه اللفظة بكل اشتقاقاتها وتصاريفها المختلفة من خلال الآيات والسور وبعد جمع الآيات ودراسة تفسيرها يحاول استنباط الدلالات والهدايات واللطائف القرآنية من خلال استخدام القرآن الكريم لها[١]. وتعتبر كتب غريب القرآن[٢]، وكتب الأشباه والنظائر[٣]، وكتب المعاجم اللغوية[٤]، والمعاجم المفهرسة لألفاظ القرآن[٥]، هي المرجع الأساسي في جمع الألفاظ واشتقاقاتها وتعاريفها.

رابعاً: التفسير الموضوعي بين المنهج والاتجاه

يحسن بنا قبل الكتابة في منهجية البحث في الموضوع القرآني أن نشير إلى مصطلحين يأتي ذكرهما عند من يبحث في هذا المجال وهما: المنهج والاتجاه، فما المراد بالمنهج. وهل هناك فرق بينه وبين الاتجاه، وهل يوصف التفسير الموضوعي بكونه منهجاً أو اتجاهاً ؟

جاء في اللسان: طريق نهج: بيّن واضح، والمنهاج كالمنهج: الطريق الواضح، والنهج: الطريق المستقيم[٦].وقد وردت لفظة "المنهاج" مرة واحدة في القرآن الكريم وذلك في قوله تعالى { لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً }[٧] ، وبالرجوع إلى أقوال المفسرين لهذه الآية يتبين لنا أن المنهاج هو الطريق الواضح السهل، والسبيل الموصل إلى المقاصد الحسنة والطريق الواسع، والمسلك الواضح البين[٨].

وعلى ضوء المعني اللغوي والتفسيري السابق للمنهاج يمكن تحديد الأمور التي يصح على أساسها وصف طريقة أو مسلكاً معيناً ما بالمنهج، وهي أن تكون هذه الطريقة بيّنة المعالم واضحة الخطوات توصل إلى الهدف المنشود والغاية المطلوبة ، ولما كانت هناك تعريفات كثيرة للمنهج، لا بد لنا من البحث عن تعريف يتضمن هذه المعاني، وهو ما ذكره صاحب معجم

---

(١) أنظر: مباحث في التفسير الموضوعي (ص ٢٣).

(٢) مثل مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني.

(٣) مثل: إصلاح الوجوه والنظائر للدامغاني، والوجوه والنظائر في القرآن الكريم لمقاتل بن سليمان البلخي.

(٤) مثل: معجم مقاييس اللغة لأبن فارس، ولسان العرب لابن منظور.

(٥) مثل: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم لمحمد فؤاد عبد الباقي، ومعجم الأدوات والضمائر في القران لاسماعيل عمايرة وعبد الحميد السيد.

(٦) أنظر: لسان العرب (٢/٣٨٣).

(٧) سورة المائدة (آية: ٤٨).

(٨) أنظر تفسير ابن كثير (٣/١٢١)، وتفسير الطبري (٤/٢٦٩)، والمحرر الوجيز (٥/١٢٢)، والتحرير والتنوير (٦/٢٢٣).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المصطلحات العلمية والفنية في تعريف المنهج بقوله: هو الطريق الواضح في التعبير عن شيء أو في عمل شيء ، أو في تعلم شيء طبقاً لمبادئ معينة وبنظام معين بغية الوصول إلى غاية معينة(١)

أما الاتجاه فهو مأخوذ من الوجه أو الوجهة، ووجه الكلام: السبيل الذي تقصده والجهة والوجهة: الموضع الذي تتوجه إليه وتقصده(٢). ووردت لفظة " الوجهة " في قوله تعالى: {وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا}(٣)، قال صاحب التحرير والتنوير: الوجهة حقيقتها البقعة التي يتوجه إليها، وتستعار الوجهة لما يهتم به المرء من الأمور تشبيها بالمكان الموجه إليه تشبيه معقول بمحسوس.(٤) ، وعلى هذا فالاتجاه هو ميل الإنسان واهتمامه بأمر من الأمور بحيث يجعله هدفاً يقصده ولا يصرف وجهه عنه.

يقول د. شريف في بيان مفهوم الاتجاه: ومفهوم الاتجاه يتحدد أساساً بمجموعة الآراء والأفكار والنظرات والمباحث التي تشيع في عمل فكري كالتفسير – بصورة أوضح من غيرها، وتكون غالبة على ما سواها ويحكمها إطار نظري أو فكرة كلية تعكس بصدق مصدر الثقافة التي تأثر بها صاحب التفسير ولونت تفسيره بلونها.(٥)

وبعد هذه الجولة السريعة في معنى الاتجاه والمنهج نستطيع أن نقول أن الاتجاه هو الهدف والغاية التي يتجه إليها المفسر ويجعلها قصداً له في تفسيره، وأما المنهج فهو الخطة العلمية الموضوعية المحددة التي يلتزم بها لكي يصل إلى الهدف الذي يقصده ، وحتى يتحقق ذلك فلابد أن يتضمن المنهج جانبين مهمين :

الأول : الخطوات المرحلية التي ينبغي السير فيها للوصول إلى المقصود .

الثاني : القواعد والضوابط التي من شانها أن تضبط هذا السير حتى لا ينحرف عن القصد.

وعلى ضوء ما سبق نستطيع أن نقول أن التفسير الموضوعي هو اتجاه من اتجاهات التفسير يهدف إلى الكشف عن مراد الله تعالى في القرآن الكريم ولا يتم هذا الكشف إلا وفق منهج واضح المعالم محدد الخطوات يوصل إلى الهدف المطلوب.

---

(١) أنظر: معجم المصطلحات العلمية والفنية الملحق بلسان العرب (٤/٤٩٠).

(٢) أنظر: لسان العرب (١٣/٥٥٦).

(٣) سورة البقرة : آية(١٤٨).

(٤) أنظر: التحرير والتنوير (٢/٤٢).

(٥) أنظر: اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم للدكتور محمد الشريف، ص (٦٠).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المحور الأول

الدراسات السابقة في "منهجية البحث في الموضوع القرآني"

تتطلب أصول البحث العلمي في موضوع ما إيراد الدراسات السابقة في هذا الموضوع، وأعني بالدراسات السابقة تلك الدراسات المتخصصة التي اعتنت بجانب المنهجية، وذكرت الخطوات والمراحل اللازمة لذلك، ووضعت الضوابط والقواعد التي من شأنها أن تؤصل لهذا العمل وتقعدّه للوصول إلى نتائج عملية تطبيقيه، ولا يدخل في ذلك الدراسات التي اشتملت على موضوعات قرآنية، فهي كثيرة ومتنوعة، وهذا لا ينقص من قدرها ولا من أهميتها، لكنها ليست مجال البحث الذي نحن بصدده، وسوف اعتمد في عرض هذه الدراسات على الأسبقية الزمنية، وذلك لأن اللاحق في الغالب يُفيد من السابق، ويصححه ويقوّمه ويضيف عليه، فلا بد أن ينسب الفضل لأهل السبق الذين بدءوا هذه المسيرة المباركة، ووضعوا اللبنات الأولى في هذه المنهجية.

ويعذرني القارئ إن سهوت فقدمت كتاباً على آخر، أو سقط كتاب لم أعلم به أو لم أصل إليه، أو قُدّم كتاب على ما هو أسبق منه لعدم وجود توثيق لتاريخ تأليف الكتاب.

وقبل استعراض هذه الدراسات أود الإشارة إلى أن أولى المحاولات التي تناولت المنهج الموضوعي في التفسير كانت في عشرينيات القرن الماضي ، من قبل أحد المستشرقين(١) عندما درس وضع المرأة في العالم الإسلامي ، مستخلصاً من القران كل ما يتعلق بهذا الموضوع من نصوص ، ووصل في نهاية بحثه إلى نتيجة مفادها : أن الإنسان عند محاولته الشرح لابد وان يستجمع كل المعلومات الموضوعية ، والصيغ اللغوية الواردة في مواضع أخرى من القران، وان ينظمها ويراعيها عند التفسير(٢) .

هذه النتيجة تتضمن الإشارة إلى بعض خطوات المنهجية التي يستوجب على الباحث السير فيها، حين الكتابة في الموضوع القرآني ، وهي تمثل اللبنة الأولى في هذا المجال.

---

(١) وهو المستشرق الألماني " رودي باريت " المتخصص في الدراسات القرآنية .

انظر : منهج التفسير الموضوعي للقران الكريم ، دراسة نقدية – دكتور سامر رشواني ، ص (١٠٣) .

(٢) انظر : المرجع السابق ، ص(١٠٤) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ثم جاءت مدرسة الأمناء ممثلة برائدها الأستاذ أمين الخولي[1] ، والتي اعتبرها بعض الباحثين[2] أول من كتبت في التفسير الموضوعي ، وأصلت له ، ورسمت له خطوات حددها الخولي بقوله: وذلك يقتضي في وضوح أن يفسر القرآن موضوعاً موضوعاً ، وان تجمع آيه الخاصة بالموضوع الواحد جمعاً إحصائياً إستقصائياً ويعرف ترتيبها الزمني ومناسباتها وملابستها الخاصة ثم ينظر فيها بعد ذلك لتفسر وتفهم فيكون ذلك التفسير أهدى إلى المعنى وأوثق في تحديده. [3]

يمكن من خلال النص السابق أن نحدد الخطوات المنهجية التي يراها الخولي للكتابة في الموضوع القرآني :

١- الإحصاء والإستقراء الشامل لآيات الموضوع الواحد .

٢- الترتيب الزمني للآيات .

٣- معرفة المناسبات والملابسات المتعلقة بالآيات المدروسة .

٤- النظر في الآيات لتفسيرها في ضوء ما سبق معرفته

وهذه العناصر تعتبر أساساً اعتمده من جاء بعد الخولي وبنى عليه خطوات أخرى كما سنرى إلا أن الخولي لم يترك كثيراً من الآثار في التفسير الموضوعي ، وهذا ما يفوت فرصة اكتشاف التطبيق العملي للمنهج الذي خطه لكن من خلال دروسه التفسيرية التي كان يلقيها ، والتي قام بنشرها بعد ذلك ، يمكن القول بأنه لم يلتزم المنهج الموضوعي الذي دعا اليه بشروطه وضوابطه التي وضعها. [4]

ويبدو أن التفسير الموضوعي كان يشغل أروقة الأزهر في ستينات القرن الماضي مما أدى إلى ظهور عدد من الدراسات والكتابات ، تناولت التفسير الموضوعي بالتأصيل والتقعيد ، منها ما كتبه الدكتور محمد حجازي في رسالته للدكتوراه والتي عنوانها " الوحدة الموضوعية في القران الكريم " حيث أشار في مقدمتها إلى العناصر الأساسية في منهجه الموضوعي وهي :

١- جمع الآيات في موضوع واحد .

---

(١) من أعضاء المجمع اللغوي بمصر، تعلّم بالأزهر، وتخرج بمدرسة القضاء الشرعي وعين للشئون الدينية في سفارة مصر بروما، فأثار أزمة فدعته حكومته لمصر، ثم تسلم مناصب عدة، توفي بالقاهرة سنة ١٣٨٥هـــ، يعتبر رائد المدرسة الأدبية. أنظر: الأعلام للزركلي (١٦/٢).

(٢) انظر : اتجاهات التجديد للشريف ، (ص٣٥٨).

(٣)انظر : مناهج تجديد في النحو والبلاغة والأدب والتفسير ، لامين الخولي، ص (٣٠٦) .

(٤) منهج التفسير الموضوعي ، ص (١١٩) ، واتجاهات التجديد ، ص (٣٨٠) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٢- ترتيبها حسب النزول .

٣- بحثها في سورتها مع بيان علاقتها بما قبلها وما بعدها .

٤- بحث تسلسل الموضوع في السور التي ذكر فيها حتى نصل إلى الغاية المقصودة وهي الوحدة الموضوعية في القران الكريم . (١)

لكن حجازي لم يفصل في هذه الضوابط والخطوات التي ذكرها ، إضافة إلى ذلك فإنّ الاتجاه العام للرسالة كان منصباً نحو إثبات الوحدة الموضوعية في القران عموما ، والتأكيد أيضا على وحدة السورة وتناسبها ، دون الخوض في منهج التفسير الموصل إليها . (٢)

تبع دراسة حجازي عدة كتابات من قبل متخصصين أزهريين ، تعرضوا للتفسير الموضوعي ومنهجه ، ثم طبقوه ، وكان على رأسهم الدكتور احمد الكومي الذي وضع الأسس الأولى لهذه المنهجية حيث كانت مادة التفسير الموضوعي تدرس في كلية أصول الدين بجامعة الأزهر (٣) كما أشار إلى ذلك الدكتور عبد الحي الفرماوي حيث قال: "أما عن منهج محدد واضح المعالم مفصل النقاط للدراسة في هذا المنهج من التفسير فم يتضح ذلك إلاّ في القريب على يد أستاذنا الجليل فضيلة الأستاذ الدكتور أحمد السيد الكومي، رئيس قسم التفسير بجامعة الأزهر وبعض زملائه أساتذة القسم وتلاميذهم بقسم الدراسات العليا"(٤).

وبالرجوع إلى كتاب الدكتور الكومي نجد أنه تحدّث عن هذه المنهجية بشكل عام، ثم فصّلها في خمس نقاط وهي باختصار:

١- جمع الآيات القرآنية التي تخدم الموضوع، ثم ذكر الوسائل المعينة على هذا الجمع.

٢- ترتيب الآيات حسب النزول ما أمكن.

٣- إزاحة ما قد يكون بين الآيات من موهم الاختلاف والتناقض.

٤- تفسير الآيات مع بيان الحكمة والغرض من التشريع مع الاستعانة بالسنة وأقوال الصحابة.

٥- إخراج الموضوع في صورة متكاملة بمراعاة شروط البحث العلمي.(٥)

---

(١) انظر : الوحدة الموضوعية في القران الكريم ، ص (٣٣-٣٤) .

(٢) انظر : منهج التفسير الموضوعي ، ص (١٢٥) .

(٣) انظر : مباحث في التفسير الموضوعي ، (ص١٧) .

(٤) أنظر: البداية في التفسير الموضوعي، ص (٦١).

(٥) أنظر: التفسير الموضوعي في القرآن الكريم، ص (٢٣ – ٢٤).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وهي خطوات جيدة ومباركة، وتعتبر لبنة أساسية في هذا البناء الجميل، ولكن عليها أربع ملحوظات:

١- أنها مختصرة وتحتاج إلى تفضيل وبيان وذكر أمثلة.

٢- لا بد أن يسبق جمع الآيات تحديدُ الموضوع القرآني الذي يراد الكتابة فيه، وذلك لأنّ معرفة الآيات يعتمد على طبيعة الموضوع.

٣- ترتيب الآيات حسب النزول غير متعين دائماً، إلاّ في الأحكام الشرعية التي يتوقف صحتها على معرفة الترتيب كالآيات التي نزلت على طريقة التدرج، مثل: آيات الخمر، وآيات الربا.[١]

والأصل في ترتيب الآيات أن يكون حسب الموضوع، لكن يستفاد من تاريخ النزول، معرفة الناسخ والمنسوخ، وأيضاً ترتيب الأحكام الشرعية التي نزلت على طريقة التدرج.

٤- يمكن دمج الخطوة الثالثة في الخطوة الرابعة، فمن خلال التفسير يزُال ما بين الآيات من موهم الاختلاف.

ثم جاء الدكتور عبد الحي الفرماوي، وأضاف لبنة أخرى إلى هذا البناء، حيث زاد على ما ذكره الكومي خطوتين هما:

١- اختيار الموضوع القرآني المراد دراسته.

٢- التعرض لمعرفة مناسبات الآيات في سورها.[٢]

وهي إضافة جيدة، إلا أنه جعل خطوة الكتابة في الموضوع متقدمة على خطوة تفسير الآيات، والصحيح العكس لأنّ كتابة الموضوع وإخراجه بصورة متكاملة مبني على دراسة الآيات وتفسيرها، وأيضاً يمكن دمج خطوة معرفة المناسبات بين الآيات مع خطوة التفسير.

وكتب الدكتور زاهر الألمعي تحت عنوان "الطريقة الثانية من طرق البحث في التفسير الموضوعي" وذكر خمس خطوات نقلها بحروفها من كتاب الدكتور الكومي.[٣]

ثم دخل الميدان الدكتور عبد الستار سعيد وأدلي بدلوه في هذا المجال، وتحدث في المبحث السادس من كتابه عن منهجية البحث في الموضوع القرآني، وذكر ثماني خطوات إجمالاً وهي:

---

(١) أنظر: المدخل إلى التفسير الموضوعي، ص (٦٣).

(٢) أنظر: البداية في التفسير الموضوعي، ص(٦٢).

(٣) أنظر: دراسات في التفسير الموضوعي، ص(٢٢)

وراجع أيضاً: التفسير الموضوعي للكومي، ص (٢٣-٢٤).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

١- المعرفة الدقيقة لمعنى "التفسير الموضوعي الخاص"[١] الذي يراد للمفسّر مزاولته.

٢- تحديد الموضوع القرآني المراد بحثه تحديداً دقيقاً من حيث المعنى.

٣- اختيار عنوان له من ألفاظ القرآن ذاته، أو عنوان منتزع من صميم معانيه القرآنية.

٤- جمع الآيات القرآنية المتعلقة بالموضوع، والعناية باختيار جوامعها عند إرادة الاختصار.

٥- تصنيفها من حيث المكي والمدني، وترتيبها من حيث زمن النزول ما أمكن.

٦- فهم الآيات الكريمة بالرجوع إلى تفسيرها، ومعرفة أحوالها من حيث أسباب النزول وتدرج التشريع، والنسخ، والعموم والخصوص.

٧- تقسيم الموضوع إلى عناصر مترابطة ، منتزعة من الآيات ذاتها ، ورد الآيات إلى عناصرها ومواضعها من البناء الكلي للموضوع مع تفسير موجز لما يحتاج إلى تفسير واستنباط حقائقها القريبة من غير تكليف ورد الشبهات عن الموضوع ذاته.

٨- التقيد التام في كل الخطوات بقواعد التفسير الموضوعي وضوابطه العلمية.[٢]

ويبدو أن الدكتور السعيد رجع إلى كتاب شيخه الكومي، وأفاد منه كما أشار في الهامش[٣]، وكما ذكر في مقدمة كتابه[٤]، وأضاف إليه ثلاث خطوات أخرى، فارتقى البناء.

وأرى أن الخطوتين الأولى والثامنة ليستا من خطوات الكتابة في الموضوع القرآني، وإنما يدخلان في القواعد والضوابط التي ينبغي أن تراعى عند الكتابة كما سيأتي بيانه في المحور الثالث، ويمكن أيضاً دمج الخطوتين الثانية والثالثة في خطوة واحدة وهي: تحديد الموضوع، ثم فضل الدكتور السعيد هذه الخطوات مبيناً المراد بكل خطوة، حيث ذكر في تحديد الموضوع بعض المراجع التي تعين الباحث على معرفة موضوعات القرآن، والضوابط المعينة التي ينبغي أن تراعي في اختيار العنوان ، وفي خطوة جمع الآيات المتعلقة بالموضوع، رأى أن عدد الآيات المطلوبة يتفاوت باعتبار نوع التفسير، وذكر ثلاث أنواع:

١- التفسير الموضوعي الوجيز، يأخذ الآيات التي فيها لفظ العنوان فقط، أو جوامع اللفظ، أو جوامع الآيات.

٢- التفسير الموضوعي الوسيط، يكتفي الباحث بجوامع الآيات التي تؤلف الموضوع.

---

(١) سبق أن بيّنا مقصوده بالتفسير الموضوعي الخاص، راجع ص (٥) من هذا البحث.

(٢) أنظر: المدخل إلى التفسير الموضوعي، ص (٥٦-٥٧).

(٣) أنظر: المرجع السابق، ص (٥٧)، الهامش

(٤) أنظر: المرجع السابق، ص (٨)

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٣- التفسير الموضوعي البسيط، يأخذ الآيات كلها.(١)

وأرى أن هذا التقسيم يصعب تطبيقه عملياً، لعدم وجود حدود واضحة بين هذه الأنواع، وحاجة كل نوع منها في الآيات، ثم صعوبة تعيين الآيات الجامعة، بالإضافة إلى ذلك فإن طبيعة الجمع يعتمد على الهدف من الدراسة. (٢) . ثم ذكر الدكتور السعيد بعض الوسائل المعينة على جمع الآيات. (٣) .

ثم أتى الدكتور أحمد جمال العمري وذكر سبع خطوات لابد للباحث في الموضوع القرآني أن يجتازها وهي على سبيل الاختصار:

١- جمع الآيات التي تخدم الموضوع.

٢- ترتيب الآيات حسب النزول.

٣- التوفيق بين الآيات.

٤- تفسير الآيات.

٥- الالتزام بشروط البحث العلمي.

٦- الأخذ بمطلق اللغة.

٧- التفسير بالمقتضى من معنى الكلام، والمقتضب من قوة الشرع.(٤)

والخطوات الأربع الأولي تابع فيها الدكتور الكومي، والخامسة تدخل في الضوابط والقواعد، والسادسة والسابعة هما من شروط التفسير عموماً، ولا يختصان بالتفسير الموضوعي.

ثم امتطى الدكتور مصطفي مسلم صهوة جواده، وصال وجال في ميدان التفسير الموضوعي الذي استمتعنا بتدريسه وشرحه لنا في مرحلة الماجستير.(٥)

وقد سجل الدكتور مسلم ضمن "منهج البحث في موضوع من خلال القرآن" ثماني خطوات هي:

١- اختيار عنوان للموضوع القرآني مجال البحث بعد تحديد معالمه.

٢- جمع الآيات القرآنية التي تبحث الموضوع أو تشير إلى جانب من جوانبه.

٣- ترتيب هذه الآيات حسب النزول.

---

(١) أنظر: المدخل إلى التفسير الموضوعي، ص (٥٧-٦٢)

(٢) أنظر: التفسير الموضوعي تأصيل وتمثيل، ص (١٩٥).

(٣) أنظر: المدخل إلى التفسير الموضوعي، ص (٦٢)

(٤) أنظر: دراسات في التفسير الموضوعي للقصص القرآني، ص (٧٣-٧٥).

(٥) وذلك في كلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود عام ١٤٠٩هـ.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٤- دراسة تفسير هذه الآيات دراسة وافية.

٥- استنباط العناصر الأساسية للموضوع من خلال التوجيهات القرآنية.

٦- عرض الأفكار في الموضوع من خلال التفسير الإجمالي والاسترشاد بهدايات القرآن والاستدلال بالأحاديث وفهم الصحابة.

٧- الالتزام بمنهج البحث العلمي في وضع مخطط للموضوع.

٨- إبراز حقائق القرآن بأسلوب يبرز حكمة التشريع. [١]

وقد أضاف الدكتور مسلم هنا خطوة جيدة، وهي أنه بعد دراسة تفسير الآيات، يتم استنباط العناصر الأساسية للموضوع، وهي خطوة ضرورية يتحدد على ضوئها معالم الموضوع المراد بحثه من حيث تقسيمه إلى أبواب وفصول ومباحث، ويلاحظ ما ذكر سابقاً عن ترتيب الآيات حسب النزول[٢] ، وأيضاً فإن الخطوتين السابعة والثامنة تتعلقان بالقواعد والضوابط.

وبعد ذلك جاء الدكتور صلاح الخالدي، وألف كتابه الموسوم "التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق" وذكر في المبحث التاسع من الباب الأول الخطوات المرحلية للسير في التفسير الموضوعي، وقبل أن يسجل هذه الخطوات عرّف كل من المنهج والطريقة، وفرق بينهما بأن جعل المنهج يختص بالقواعد الأساسية التي ينطلق منها الباحث في نظره إلى القرآن، والطريقة هي التطبيق لتلك القواعد، وأخذ على بعض الباحثين السابقين[٣]، حيث لم يفرّقوا بين المنهج والطريقة، وعدّوا خطوات السير في التفسير الموضوعي هي المنهج نفسه. [٤]

أقول: هذا التفريق بين المنهج والطريقة لا دليل عليه وقد عرّفنا المنهج سابقاً، وبينا أنه يشتمل على الأمرين معاً. [٥]

ثم ذكر الدكتور الخالدي خمس خطوات عامة للألوان الثلاثة (الموضوع، والمصطلح، والسورة) وهي في جملتها أقرب للإرشادات والنصائح من أن تكون خطوات محددة للمنهجية:

ثم بعد ذلك قسم الخطوات إلى مرحلتين:

المرحلة الأولى: مرحلة البحث والجمع.

---

(١) أنظر: مباحث في التفسير الموضوعي، ص (٧٣-٧٥).

(٢) راجع، ص (١٢) من هذا البحث.

(٣) يعني بذلك الدكتور السعيد والدكتور مصطفى مسلم.

(٤) أنظر: التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، ص (٦٩-٧٠).

(٥) راجع ص (٨) من هذا البحث.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المرحلة الثانية: مرحلة الترتيب والتبويب والصياغة.

وقبل أن يسرد خطوات المرحلة الأولى، ذكر ما سجله الكاتبان الفاضلان الدكتور عبد الستار والدكتور مسلم، ثم لخص الخطوات التي يراها بعشر نقاط:

١- اختيار الموضوع القرآني للبحث.

٢- تسجيل الأسباب الذي دفعته لاحتيار الموضوع.

٣- جمع الآيات التي تتحدث عن الموضوع بألفاظها أو بمعانيها.

٤- استخراج معاني الألفاظ السابقة التي اختارها من كتب اللغة، وبيان وجه الصلة بينها، وربطها بالموضوع القرآني.

٥- حصر الآيات التي استعملت المصطلحات الأساسية للموضوع.

٦- تسجيل ما يدور حول الآيات من أسباب نزول، ونسخ، وقراءات ....

٧- قراءة تفسير الآيات من أمهات كتب التفسير.

٨- بيان الأبعاد المعاصرة للآيات.

٩- استخلاص الدلالات والعبر واللطائف من الآيات المجموعة.

١٠- الاطلاع على الدراسات والأبحاث القرآنية المعاصرة. [١]

ثم قال: "أما في المرحلة الثانية التابعة لها، وهي مرحلة الترتيب والتبويب والصياغة، فهي لا تخرج عن الخطوات الثمانية المتدرجة التي تكلمنا عنها عند حديثنا عن خطوات السير في المصطلح القرآني". [٢]

وهو يشير بذلك إلى ثماني خطوات كان قد سجّلها عند حديثه عن الخطوات المرحلية للسير مع المصطلح القرآني، وهي باختصار كالتالي:

١- إلقاء نظرة موضوعية فاحصة على المادة التفسيرية بهدف إدراك فصولها ومباحثها، وترتيبها منهجياً واختيار عناوين لها.

٢- وضع مخطط منهجي موضوعي للبحث مفصل الفصول والمباحث.

٣- توزيع المادة التفسيرية على الفصول والمباحث.

٤- البدء بصياغة وكتابة الفصول بالترتيب.

---

(١) أنظر: المرجع السابق، ص (٧٨-٨٢)

(٢) أنظر: المرجع السابق، ص (٨٢)

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٥- الحرص على دقة الصياغة من الناحية الظاهرية والموضوعية.

٦- وضع اللطائف واللفتات في مواضعها.

٧- التركيز على ربط الموضوع بمقاصد القرآن وأهدافه.

٨- الإخراج الفني للبحث.(١)

وبعد هذا العرض الموجز لما كتبه الدكتور الخالدي حول الخطوات المرحلية يمكن تسجيل الملحوظات التالية:

أولاً: أنه قسم الخطوات إلى مرحلتين (مرحلة جمع، ومرحلة صياغة)، وهذا حسن في باب الترتيب والتنظيم، لكنه ليس له تأثير على قضية المنهجية.

ثانياً: أنه سجّل ما كتبه السابقون، وأضاف عليه وهذا يشكر له بأنه لم ينس لأهل الفضل والسبق جهدهم وفضلهم.

ثالثاً: هناك شيء من التكرار في الخطوات التي ذكرها، فعلى سبيل المثال:

في المرحلة الأولي:

- يمكن دمج الخطوتين الأولى والثانية في خطوة واحدة وهي "تحديد الموضوع" ويدخل فيها ذكر الأسباب التي دفعت لاختيار الموضوع.
- دمج الخطوة الثالثة والخامسة في خطوة واحدة وهي "جمع الآيات" التي تتحدث عن الموضوع، وذلك بالاستعانة بكتب الألفاظ والمعاجم.
- دمج الخطوات السادسة والسابعة والتاسعة في خطوة واحدة وهي: تفسير الآيات.

في المرحلة الثانية:

- يمكن دمج الخطوة الأولي والثانية في خطوة واحدة وهي: وضع مخطط موضوعي للبحث.
- دمج الثالثة والرابعة في خطوة واحدة وهي: صياغة وكتابة الفصول بالترتيب مسترشداً بالآيات المفسرة.

رابعاً: هناك خطوات في المرحلتين هي من باب النصائح والإرشادات والتوجيهات العامة، مثل الخطوة الثامنة والعاشرة من المرحلة الأولى.

أو هي من باب التنظيم والترتيب والإخراج الفني للبحث مثل النقطة الثامنة من المرحلة الثانية.

---

(١) أنظر: المرجع السابق، ص (٧٧)

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وعلى كل حال فهو جهد مشكور للمؤلف ،وإضافة متميزة تسهم في جانب التأصيل لهذه المنهجية التي يراد لها أن تكون بناء شامخاً متناسقاً بإذن الله تعالى.

ومن الباحثين الذين أجادوا وأفادوا في وضع لمسات رائعة في موضوع المنهجية هو الدكتور زيد عمر في مؤلفه الذي سماه بـــ "التفسير الموضوعي التأصيل والتمثيل" وعنوانه يدل على مضمونه حيث ذكر تحت مبحث "خطوات التفسير الموضوعي" خمس خطوات رئيسيه وهي:

١- **الخطوة الأولى**: اختيار الموضوع، ووضع بعض الضوابط لاختيار الموضوع.

٢- **الخطوة الثانية**: جمع الآيات، وأشار إلى جملة من الوسائل المعينة على جمع الآيات، وعرض لبعض المؤلفات في معاجم الموضوعات.

٣- **الخطوة الثالثة**: ترتيب الآيات، وذكر نوعين من الترتيب.

أ- الترتيب حسب الموضوع.

ب- الترتيب حسب النزول.

ورجح النوع الأول بعد أن ذكر أربعة أسباب لهذا الترجيح.

٤- **الخطوة الرابعة**: تفسير الآيات تفسيراً تحليلياً:

وبيّن فيها أهمية التفسير التحليلي في الكشف عن دلالات القرآن وهداياته، وأثر ذلك في التفسير الموضوعي، وضرب أمثلة من القرآن وأشار إلى أهمية مراعاة سياق الآيات وذكر أنواع السياقات ومثل لها.

٥- **الخطوة الخامسة: كتابة الموضوع**

بيّن أهمية هذه الخطوة في تحقيق التلاحم بين النظرية والتطبيق، وأشار إلى مسألة الاحتكام إلى مقررات سابقة في الذهن عند كتابة الموضوع، وبيّن خطرها وضرب أمثلة على ذلك.[1] .

وما سطره الدكتور زيد جهد متميز وخطوات جيدة في منهجية البحث في الموضوع القرآني، لكن هناك خطوة لم يذكرها ، وهي أنه بعد تفسير الآيات ودراستها لا بد من وضع مخطط للموضوع، يقسم فيه الموضوع إلى أبواب، وفصول ومباحث، ثم توزع الآيات على هذه الأبواب والفصول والمباحث، خاصة في الموضوع متشعب المباحث والمجالات ، أما إذا كان

---

(١) أنظر التفسير الموضوعي التأصيل والتمثيل ص (١٧١-٢٢١) بتصرف واختصار.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الموضوع محدد لمعالم والآفاق قليل العناصر فإنه يبحث من خلال مجال آخر هو المقالة التفسيرية.(١)

وممن كتب في موضوع المنهجية الدكتور توفيق علوان، حيث سجل أولاً عشر خطوات وعناصر أساسية، وهي في الحقيقة ليست خطوات محددة ولكن بعضها إرشادات عامة، وبعضها يدخل في باب القواعد والضوابط ، ثم ذكر تحت عنوان "البحث في الموضوع القرآني" مرحلتين:

أولاً: خطوات تجميع المادة العلمية وهي:

١) تحديد الموضوع المطلوب.

٢) اختيار عنوان البحث.

٣) جمع الآيات القرآنية.

٤) تصنيف الآيات مكياً ومدنياً.

٥) الالتزام التام بالخصائص القرآنية.

٦) قراءة أمهات كتب التفسير.

٧) قراءة الثقافات المعاصرة الخاصة بالموضوع.(٢)

وهي خطوات جيدة إلا أن بعضها يمكن أن يدمج مثل الأولى والثانية، أما الخطوة الخامسة فتدخل في القواعد والضوابط، والثامنة هي من قبيل الإرشادات العامة.

ثانياً: خطة البحث، وذكر أربع خطوات وهي:

١) وضع خطة للبحث على هيئة مقدمة وفصول ومباحث ومطالب.

٢) تحديد العنوان المناسب لكل فصل ومبحث وباب.

٣) كتابة المادة العلمية بالترتيب فصلاً بعد فصل.

٤) مراعاة الثوابت الفنية بدقة مثل المراجع والتوثيق.(٣)

والخطوة الأخيرة تتعلق بالجانب الفني لإخراج البحث.

---

(١) أنظر: مباحث في التفسير الموضوعي ص(٣٨)، والمدخل إلى التفسير الموضوعي ص(٦٥).

(٢) أنظر: فتح الرحمن في التفسير الموضوعي ص (٢٧٥-٢٧٦) باختصار وتصرف.

(٣) أنظر: المرجع السابق ص (٢٧٣-٢٧٤).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وبهذا نكون قد وصلنا إلى نهاية المطاف في عرض الدراسات السابقة التي اهتمت بموضوع المنهجية، وهي كما ترى جهود مباركة، حاز أصحابها قصب السبق. وكانوا هم الرواد الأوائل في هذا الميدان، ومن حقهم علينا أن يشكروا، وأن نستفيد مما دونته أقلامهم لنبني عليه، ونضيف إليه مما يجود به المولى علينا، لنضع منهجية للبحث في الموضوع القرآني، وهو ما سوف يكون بإذن الله في المحور الثاني من هذه الدراسة.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المحور الثاني

الخطوات المرحلية للبحث في الموضوع القرآني

ذكرنا في التمهيد[1] أن المنهجية تتضمن أمرين هما: الخطوات المرحلية وهو ما سنتحدث عنه في هذا المحور بإذن الله، والقواعد والضوابط ومجال بحثها في المحور الثالث.

وقبل أن نتحدث عن هذه المنهجية أحب أن أوضح أموراً:

الأول: أن الجانب التطبيقي في التفسير الموضوعي، سبق الجانب النظري التأصيلي.

الثاني: قلة الكتابات التي ركزت على التنظير المنهجي[2]،مع كثرة النتاج العلمي الذي ينسب إلى هذا الحقل.

الثالث: هذا التنظير المنهجي بما أنه حديث النشأة، ولا يزال في طور البناء، فهو يحتاج إلى مزيد من البحث والدراسة حتى يكتمل ويستوي على سوقه، ويعجب الناظرين.

الرابع: إذا كانت هذه المنهجية في مرحلة التكوين والبناء، فهي إذا قابلة للاجتهاد، والأخذ والرد، خصوصاً في الجوانب التي تختلف فيها وجهات نظر الباحثين، فليس قول أحد أولى بالصواب من قول غيره .

وعلى هذا فما سأكتبه في هذا المحور هو أولاً بتوفيق من الله، ثم بإفادة ممن سبقوني من علمائنا وأساتذتنا من نستن بسنتهم، ونقتفي أثرهم، ثم ببضاعة مزجاة من عبد ضعيف مثلي يتطفل على هذا العلم، فمن الله وحده استمد العون، وأسطر هذه الخطوات المرحلية لمنهجية البحث في الموضوع القرآني.

الخطوة الأولي: تحديد الموضوع

إن أبرز ما يميز التفسير الموضوعي أن الباحث يختار ما يشاء من الموضوعات، بخلاف التفسير التحليلي الذي يلتزم فيه بالموضوعات حسب ترتيبها في الآيات والسور.

ولكن كيف يختار الباحث موضوعاً ما ؟ وما هي الأسس والضوابط التي يعتمد عليها هذا الاختيار؟ وما معيار الأفضلية في الاختيار ؟ وهل للموضوعات صفات معينة ينبغي توفرها حتى

---

(١) راجع ص (٨) من هذا البحث.

(٢) سنعرض مجموعة من هذه الكتابات في هذا المحور والذي بعده.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يصح كونها مجالاً للتفسير الموضوعي، أم أن أي فكرة أو قضية مهما كانت كلية أو جزئية فهي قابلة لأن تكون موضوعاً قرآنياً.

إن هذه التساؤلات تنطلق من كون الموضوعات التي ساقها القرآن شاملة لجميع مناحي الحياة {وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ}[١]، ولكن مع ذلك لابد من وجود مجموعة من الضوابط التي يكون على أساسها الاختيار ومنها:

أولاً: أن يكون الموضوع خادماً للمقاصد القرآنية بالكشف عن جوانبها وإبراز مظاهرها[٢].

وقد أورد صاحب التحرير والتنوير المقاصد الأصلية التي جاء القرآن ببيانها وتقرير وهي بإيجاز:

١- إصلاح الاعتقاد.

٢- تهذيب الأخلاق.

٣- التشريع.

٤- سياسية الأمة بإصلاحها وحفظ نظامها.

٥- عرض القصص وأخبار الأمم السابقة.

٦- التعليم بما يناسب حالة عصر المخاطبين.

٧- المواعظ والإنذار والتحذير والتبشير.

٨- الإعجاز بالقرآن ليكون آية دالة على صدق الرسول. [٣]

ثانياً: عدم التكليف في إلصاق موضوعات في القرآن بدعوى أسبقية القرآن إلى كل علم واشتماله عليه، استدلالاً بقوله تعالى {مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ}[٤].

فالقرآن الكريم جاء منهجاً شاملاً، أما تفصيلات العلوم البشرية فليست من مقاصد القرآن، وإن قرر كثيراً من حقائقها وأصولها كالطب والفلك[٥].

يمكن بيان علاقة العلوم بالقرآن الكريم على أربع مراتب:

- علوم تضمنها القرآن،كأخبار الأنبياء، والأمم، وتهذيب الأخلاق.
- علوم تزيد المفسر علماً كالحكمة والهيئة وخواص المخلوقات.

---

(١) سورة النحل (آية: ٨٩)

(٢) أنظر: التفسير الموضوعي تأصيل وتمثيل (ص ١٧٣)، والمدخل إلى التفسير الموضوعي (ص ٥٩).

(٣) أنظر : التحرير والتنوير ص (٤٠ – ٤١).

(٤) سورة الأنعام (آية: ٣٨)

(٥) أنظر: المدخل إلى التفسير الموضوعي (ص ٥٩).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

- علوم أشار إليها القرآن، أو جاءت مؤيدة له، كعلم طبقات الأرض والطب.

- علوم لا علاقة لها به، إما لبطلانها كالزجر والعيافة، وإما لأنها لا تعين على خدمته كعلم العروض والقوافي(١).

ومن أمثلة التكلف في إلصاق موضوعات في القرآن البحث في موضوع "الانشطار الذري" أو "بصمات الأصابع" من خلال القرآن.

ثالثاً: أن يختار للموضوع عنواناً من ألفاظ القرآن، أو مشتقاً منه(٢).

- أمثلة لموضوعات من ألفاظ القرآن: الشورى، السلم، الإنسان، المرأة.

- أمثلة لموضوعات مشتقة من ألفاظ القرآن: التعاون، التكافل، الهداية.

فإذا لم يجد للعنوان لفظاً قرآنياً مباشراً، بحث عن أقرب الألفاظ بعد النظر في جملة المعاني القرآنية بحيث يمثل الموضوع تمثيلاً واضحاً (٣) ، ومثال ذلك موضوع "أسباب نهضة الأمم وسقوطها" فهو موجود في القرآن، كلن بأسلوب آخر، فيمكن أن يختار له عنواناً هو "سنن الله في الحضارات واندثارها" فلفظ السنن موجود في القرآن الكريم في قوله تعالى : {قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ}(٤)، ولفظ الحضارة جاء على سبيل الإشارة في قوله تعالى: {واَسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ}(٥).

رابعاً: عند تعدد الألفاظ القرآنية، فأن الباحث يختار أجمع لفظ قرآني، ليكون عنواناً للموضوع، ومحوراً يدور عليه، ثم يضم إليه الألفاظ المقاربة بمعناه، ثم الألفاظ المقابلة للمعاني السابقة.(٦)

مثال ذلك إذا أردنا أن نكتب عن موضوع "الحرب والسلام في ضوء القرآن" نختار له أجمع الألفاظ ليكون عنواناً وهو "الجهاد في سبيل الله" لأنه أشهر ألفاظ هذا الموضوع في القرآن، ثم نضم إليه ما يقاربه في المعنى مثل: القتال، الحرب، الضرب، القتال، ....، النصر. ثم نضم إليه ما يقابله من الألفاظ مثل: السلام، الفرار، التولي، الفشل، الرعب....

---

(١) أنظر: التحرير والتنوير (١/ ٤٥).

(٢) أنظر: المدخل إلى التفسير الموضوعي (ص ٥٩).

(٣) أنظر: المرجع السابق (ص٦١).

(٤) سورة آل عمران (آية: ١٣٧).

(٥) سورة الأعراف (آية: ١٦٣).

(٦) أنظر: المدخل إلى التفسير الموضوعي (ص ٦٠).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

خامساً: أن يكون الموضوع المراد بحثه، تحدثت عنه آيات القرآن، وعرضت جوانبه وحقائقه بحيث يجد الباحث في آيات القرآن مادة واسعة لموضوعه[١]، فإذا اختار على سبيل المثال – موضوع "الفراسة"، فلن يجد إلا آيات تعد على أصابع اليد، وهي أيضاً بالمعنى وليست باللفظ، وفي هذه الحالة يمكن بحث الموضوع من خلال مقالة تفسيرية، والقرآن الكريم مع قلة حجمه غاية في الإعجاز، قال الراغب: وجعل من معجزة هذا الكتاب أنه – مع قله الحجم –متضمن للمعني الجم، وبحيث تقصر الألباب البشرية عن إحصائه، والآلات الدنيوية عن استيفائه.[٢]

بقى أن نشير إلى مسألة تتعلق باختيار الموضوعات القرآنية، وهي: من أين تستمد هذه الموضوعات ؟

هناك طريقتان، طريقة تعتمد على النص القرآني أصلاً يستمد منه الموضوعات، وطريقة أخرى ترى الواقع مصدر الموضوعات التي ينبغي تفسيرها قرآنياً. والصواب أنه لا تمييز بين الطريقتين فكل قضية واقعية هي شأن يعرض له القرآن، لأنه كتاب أنزل ليكون هداية للناس ومنهجاً لهم.

الخطوة الثانية: جمع الآيات

بعد تحديد الموضوع بالضوابط المذكورة في الخطوة ألأولى، يقوم الباحث بجمع الآيات القرآنية المتعلقة بالموضوع، وهناك مجموعة من الوسائل يمكن أن يستعين بها الباحث في جمع آيات الموضوع الواحد وهي[٣]:

١- حفظ الصدور: وهو من خصائص الأمة المحمدية حيث يتمكن الباحث من خلال الحفظ المتقن من استرجاع الآيات واستحضارها في أي وقت شاء.

٢- الرجوع إلى المصحف لاستخراج الآيات: وهي وسيلة تعين على معرفة السياق الذي وردت فيه الآية، ولكنها تحتاج إلى وقت ، إضافة إلى صعوبة تحديد آيات الموضوع الواحد في كثير من الأحيان، وأيضاً قد لا ينتبه الباحث إلى الآيات ذات الدلالات الظنية ، أو أن المعنى المتصل بموضوعه يعد من المعاني الثانوية للآية، والذي يحتاج إلى جهد وفطنة للكشف عنه.

٣- معاجم الألفاظ: وهذه الطريقة أسرع وأجمع مما قبلها ، حيث تورد هذه المعاجم الآيات التي تضمنت لفظة ما بكل تصريفاتها وتشير إلى رقم الآية واسم السورة، وهي نقلة متميزة وفرّت جهداً كبيرا، لكن ينتبه إلى ضرورة جمع الآيات المتصلة بالموضوع لفظاً ومعنى، فإذا أردنا

---

(١) أنظر: التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق (ص ٨٠).

(٢) أنظر: مفردات ألفاظ القرآن (ص ٥٣).

(٣) راجع في هذه الوسائل وغيرها: المدخل إلى التفسير الموضوعي (ص ٦٢ – ٦٣)، التفسير الموضوعي التأصيل والتمثيل (ص ١٨٢ – ١٩٦).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الكتابة عن موضوع "المرأة في القرآن" نجمع الألفاظ الدالة عليها بالمترادفات والصفات مثل (النساء، الزوجة، الأنثى، الأيم، الأمة، الصالحات، القانتات).

وكتب المعاجم التي عنيت بالألفاظ لا تعين على تحقيق هذا الأمر بسهولة، مثل: المعجم الفهرس لألفاظ القرآن، لمحمد فؤاد عبد الباقي، ومعجم ألفاظ القرآن الكريم الذي أصدره مجمع اللغة العربية ، ومفردات الراغب.

ولذلك يُلجأ إلى الوسيلة الرابعة وهي:

٤- معجم الموضوعات: وهي المعاجم التي اعتنت بالموضوعات، فجمعت الآيات المتصلة بها لفظاً ومعنى ومن أمثلتها:

- تفضيل آيات القرآن الكريم، وضعه بالفرنسية المستشرق جول لابوم، ونقله إلى العربية محمد فؤاد عبد الباقي.
- المعجم الموضوعي لآيات القرآن الكريم وضعه حسان عبد المنان.

يبرز في مجال جمع الآيات مسألتان تحسن الإشارة إليهما:

المسألة الأولى: ضرورة الالتفات إلى الآيات ذات الدلالات الثانوية[١]، فبعض الآيات قد تتضمن معاني ثانوية جاءت تبعاً ،إضافة إلى المعاني الظاهرة المقصودة أصلاً من الخطاب.

وقد عرض الشاطبي لهذه المسألة تحت عنوان: هل تستفاد الأحكام من جهة المعنى التبعي للكلام؟ وذكر وجهتي النظر، وساق أدلة الطرفين[٢] ،وعرض للموضوع أيضاً الطاهر بن عاشور في المقدمتين الثالثة والرابعة ، وذكر كلاماً يستحق أن يراجع[٣].

المسألة الثانية: هل يقوم الباحث في الموضوع القرآني بالاستقراء التام لجميع الآيات القرآنية المرتبطة بالموضوع أم أنه يكتفي ببعضها، خصوصاً إذا تشابهت أحياناً دلالات الآيات ؟

أرى أن هذه المسألة تعود إلى طبيعة الموضوع والهدف من الدراسة، فهما اللذان يحددان نوعيه الآيات وعددها. فهناك بعض الموضوعات هي في ذاتها وجيزة، آياتها معدودة فهذه لا يمكن التخير في آياتها، وأيضاً إذا كان الهدف من الموضوع هو الاستدلال على القواعد العامة والمقاصد الكلية في القرآن، فهذه يكتفي فيها بجوامع الآيات.

---

(١) أملى أبو بكر العربي على سورة نوح خمسمائة مسألة، وعلى قصة موسى ثمانمائة مسالة.
أنظر التحرير والتنوير (١/ ٢٩).

(٢) أنظر: الموافقات (٢/٩٥).

(٣) راجع: التحرير والتنوير (٢٨/١) وما بعدها.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الخطوة الثالثة: ترتيب الآيات وتصنيفها

بعد أن يجمع الباحث الآيات القرآنية المتعلقة بالموضوع، يقوم بتنظيم تلك الآي، وتصنيفها على نحو يعين على الربط والاستنباط منها، والخروج برؤية شاملة واضحة لجميع أجزاء الموضوع، وهنا لابد أن نشير إلى قضية شغلت الباحثين في التفسير الموضوعي، وذهب كثير منهم إلى جعلها خطوة أساسية في منهجية الكتابة في الموضوع القرآني، وهي مسألة ترتيب الآيات حسب النزول، وهي مسألة طال انشغال المستشرقين بها، ثم جاء أمين الخولي، فجعلها خطوة لا بد من القيام بها قبل الإقدام على التفسير الموضوعي[١].وتبعه في ذلك كثير ممن كتب في منهجيه التفسير الموضوعي[٢].

و من العجيب أن جَلّ الذين صنفوا في التفسير الموضوعي، وجعلوا الترتيب التاريخي شرطاً له، لم يبرروا قولهم بضرورة الأخذ بهذا الترتيب، إلا ما ذكره بعضهم من القول بأن ما أنزل بمكة كان في الأعم الأغلب يتعلق بأسس عامة غير محددة الجوانب كالأمر بالإنفاق أو الزكاة أو الإحسان، بينما حددت معالم هذه التشريعات في المرحلة المدنية[٣]، وهم أيضاً لم يحددوا خطة معينة للوصول إلى هذا الترتيب، ولم يطبقوه إلا في مواضع الأحكام، وحين يتعين معرفة زمن النزول. من أجل ذلك ذهب بعض الباحثين إلى القول بعدم ضرورة هذا الترتيب فضلاً عن قول بعضهم باستحالة ذلك وتعذره[٤].

وهذا القول منهم لا يعني بالضرورة إهمال فوائد معرفة تاريخ نزول الآيات في تدرج الأحكام الشرعية، وفي التمييز بين المكي والمدني عند التفسير من أجل بيان مجمل أو تخصيص عام، أو تقييد مطلق، أو تفصيل ما لم يفصل ، أو تكميل ما لم يظهر تكميله، فإن هذا كما يرى الشاطبي – رحمه الله – من أسرار علوم التفسير وعلى حسب معرفته تحصل له المعرفة بكلام ربه سبحانه[٥].

وعلى هذا فالذي تدعو إليه الحاجة هو أن ترتب الآيات حسب موضوعاتها، لأنها موزعة في القرآن الكريم على حسب الترتيب التوقيفي.

---

(١) أنظر: اتجاهات التجديد للشريف (ص ٣٦١).

(٢) أنظر: التفسير الموضوعي للكومي (ص ٢٣)، المدخل إلى التفسير الموضوعي (ص ٦٣)، مباحث في التفسير الموضوعي (ص ٣٧).

(٣) أنظر: مباحث في التفسير الموضوعي (ص ٣٧).

(٤) أنظر: التفسير الموضوعي تأصيل وتمثيل (ص ١٩٨)، اتجاهات التجديد (ص ٢٣٨).

(٥) أنظر: الموافقات (٤/ ٤٠٦).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الخطوة الرابعة: دراسة الآيات

وهذه الخطوة بالغة الأهمية، قد يغفل عنها كثير ممن يكتب في الموضوع القرآني، وتبدو أهميتها من خلال الأمور التالية:

- أن الهدف من التفسير الموضوعي هو الكشف عن دلالات وهدايات القرآن، وهذا لا يتم إلا من خلال استنطاق النصوص.
- أن التفسير الموضوعي يعد ضمن التفسير بالرأي، وهو مظنة الزلل إذا لم ينطلق من منطلقات سليمة ويستمد من استمدادات التفسير المشروعة.
- إن هذا المنهج هو الكفيل بأن يجعل الموضوع ينطلق من القرآن ويعود إليه، لا أن تأتي الآيات لتكون شاهدة على رأي تقرر أو حكم سابق[١].
- هذه الخطوة هي الفيصل بين بحوث التفسير الموضوعي، والبحوث الإنشائية الثقافية.

وتشمل دراسة الآيات ما يلي:

أولاً: الدراسة الدلالية:

والمراد بها تحديد دلالات الألفاظ بالرجوع إلى كتب اللغة والمعاجم، وهم أول ما ينبغي للمفسر أن يبدأ به كي يفهم كتاب الله، لهذا نجد الإمام الزركشي يشدد على أولية الدراسة اللفظية في عمل المفسر، فيقول: وأول ما يجب البداءة به منها تحقيق الألفاظ المفردة، فتحصيل معاني المفردات من ألفاظ القرآن من أوائل المعادن لمن يريد أن يدرك معانيه[٢]، فعلي سبيل المثال لا يمكن فهم قوله تعالى: {إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ}[٣] حتى يتم معرفة معنى لفظ (كنود)، وقد يرى البعض أن الاهتمام بدراسة اللفظ يعد رجوعاً إلى الطريقة التحليلية، وأن التفسير الموضوعي إنما جاء للعناية بفكرة السياق أو الإطار العام، فنقول لا يوجد تعارض حقيقي بين الاتجاهين، إذ لا يمكن تعيين المراد من لفظ مادون النظر في سياق الكلام، كما لا يتصور الفهم الدقيق للكلام دون الإحاطة بمدلولات الألفاظ [٤].وقد ناقش الشاطبي هذين الاتجاهين باعتبارهما خروجاً عن حد الاعتدال والتوسط في التفسير[٥].

---

(١) أنظر: التفسير الموضوعي تأصيل وتمثيل (ص ٢٠٤ – ٢١٠) باختصار وتصرف.

(٢) أنظر: البرهان (١٧٣/٢).

(٣) سورة العاديات: (آية ٦).

(٤) أنظر: منهج التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، دراسة نقدية، (ص ١٧٥).

(٥) أنظر: الموافقات للشاطبي (٣/ ٤٠٩).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ثانياً: استقراء الاستعمال القرآني:

بعد الفراغ من تحديد معاني الألفاظ ودلالاتها في اللغة، ينتقل الباحث إلى دراسة الاستعمال القرآني لهذه الألفاظ بالرجوع إلى كتب الوجوه والنظائر، ثم يحدد المعنى المراد حسب موقع اللفظة من الكلام.فلفظ الفتنة في القرآن على سبيل المثال جاء في القرآن بعدة معان، فاستقراء هذه المعاني[1]، ومعرفة دلالاتها، والربط بينها وبين المعاني اللغوية تمكن الباحث من معرفة المفاهيم الأساسية التي يدور عليها موضوعه.

ثالثاً: الدراسة النصية:

وتتم من خلال النظر الشامل في الآيات التي تتناول الموضوع، باعتبارها المصدر الأساسي الذي تقام عليه الرؤية الكلية ،وهذه الدراسة تشمل:

١- **النظر في السياق الجزئي والسياق الكلي:**

لقد قرر العلماء أن النظر في السياق ضرورة لفهم المعنى المراد من الخطاب القرآني، ومن أهمله كما يقول الزركشي فقد غلط في نظيره، وغالط في مناظرته، فبالنظر في قوله تعالى: { ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ }[2]، نجد سياقه يدل على أنه الذليل الحقير.[3]

قال الشاطبي: لا يصح الاقتصار في النظر على بعض أجزاء الكلام دون بعض، إلا في موطن واحد، وهو النظر في فهم الظاهر بحسب اللسان العربي، وما يقتضيه لا بحسب مقصود المتكلم[4].

والباحث معني بالنظر إلي نوعين من السياق:

- **السياق الجزئي**: وهو سياق الآية نفسها أو سياق الآيات التي وردت فيه الآية. فمن يتحدث عن الدعاء في القرآن لا ينبغي له أن يغفل أن قول تعالى: { وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ }[5]، ورد في سياق آيات الصيام، مما يوحي بصلة بين الدعاء والصيام، وهذا ما أكدته الأحاديث النبوية.

- **السياق الكلي**: وهو السياق العام سواء كان للسورة، أو القرآن كله.

---

(١) أنظر: نزهة الأعين النواظر في معرفة الوجوه والنظائر (ص ٤٧٨).

(٢) سورة الدخان (آية: ٤٩).

(٣) أنظر: البرهان في علوم القرآن (٢/٢٠٠).

(٤) أنظر: الموافقات (٣/٤١٣).

(٥) سورة البقرة (آية: ١٨٦)

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٢ - **وجوه العلاقة بين الآيات:**

وهو النظر في العلاقات الممكنة بين الآيات القرآنية، التي تم حصرها واستقراؤها ،من تخصيص لعموم، أو بيان لمجمل ،أو تقييد مطلق، أو توضيح لمشكل ،أو ناسخ ومنسوخ، أو مناسبات بين الآيات، ثم توظيف ذلك كله في بناء الموضوع القرآني ، فآيات التوبة في القرآن الكريم، جاء بعضها في صيغ عامة مطلقة بلا قيود ولا شروط في مثل قوله تعالى: { َهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ }(١)

وحين النظر في الآيات الأخرى التي تناولت موضوع التوبة، سنجد أن هذه التوبة، قد قيدت بكونها توبة نصوحاً في قوله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحاً }(٢)، والنصوح لفظ مجمل بُيّن في آيات أخرى من مثل قوله تعالى: { وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهْتَدَى }(٣)، وهذه الآية عامة في قبول التوبة في أي زمان لكنه خص ما كان قبل الموت في قوله تعالى: { وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ }(٤).وبهذا ترتبط آيات التوبة بعضها ببعض ضمن علاقات العموم والخصوص والإجمال والبيان والإطلاق والتقييد. (٥)

الخطوة الخامسة: الترتيب المنطقي للموضوع

بعد دراسة الآيات والنظر فيها مجتمعه يقسم الباحث الموضوع إلى عناصر وأجزاء، منتزعة من صميم المعاني المقررة في الآيات الكريمة، ويربط بينها برباط علمي يجعل من الموضوع وحدة واحدة، مسلسلة مرتبة ترتيباً منطقياً ،فعند الكتابة في موضوع "الهداية في القرآن" على سبيل المثال يرتب الموضوع مبتدئاً ببيان حقيقة الهداية، ثم أسبابها وموانعها، فمجالاتها، ثم أساليب القرآن في عرضها، وأخيراً آثارها الدنيوية والأخروية(٦).

والسؤال الذي يطرح نفسه: إذا كان هذا الترتيب أحد متطلبات البحث في الموضوع القرآني، فهل هناك طريقة محددة لهذا العمل؟

---

(١) سورة الشورى (آية: ٢٥).

(٢) سورة التحريم (آية: ٨).

(٣) سورة طه (آية: ٨٢).

(٤) سورة النساء (آية: ١٨).

(٥) أنظر: منهج التفسير الموضوعي، دراسة نقدية (ص ٢٠٩).

(٦) راجع: كتاب الهداية في القرآن، للدكتور العباس الحازمي، رسالة ماجستير.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فالجواب: أن ذلك يعتمد على طبيعة الموضوع والرؤية الخاصة للباحث فقد يجتمع باحثان موضوعيان على تفسير موضوع ما من القرآن، ثم يكون لكل واحد تنظيم معين يختلف عن الأخر.

الخطوة السادسة: كتابة الموضوع

إن الخطوات السابقة بالرغم من أهميتها، إلا أنها ليست ذات فائدة تذكر إذا لم توظف بشكل صحيح في تحقيق التوافق بين النظرية والتطبيق.

فهذا الاتجاه الأدبي ممثلاً بمدرسة الأمناء بقدر ما قدم من مقدمات مثالية في المنهج من حرص على جمع الآيات القرآنية جمعاً إحصائياً ومعرفة دلالاتها، وترتيبها الزمني ومناسباتها إلا أنه أخفق في تقديم ثمار ونتائج في شكل محاولات تطبيقية في التفسير ورغم ارتفاع الدعوة إلى التفسير الموضوعي للقرآن، فأننا لا نجد استجابة محققه لهذه الدعوة وتمثلاً وحقيقياً لشروط المنهج إلا القليل النادر.(١)

وإذا كانت الكتابة عموماً لا توتي ثمارها، ما لم تكن مبينة على أصول وقواعد صحيحة، فإن الكتابة في الموضوع القرآني من باب أولى ذلك لأنها تعنى بالكشف عن مراد الله، وهذه مهمة أفاض العلماء في بيان خطورتها، وتحدثوا عن الشروط والمواصفات التي يجب أن تتوفر فيمن يتصدى لذلك.(٢) ، وهذا يستدعي جملة من الأمور التي يجب استحضارها عند الكتابة:

١- الإطلاع على ما كتب حول الموضوع سواء في إطار الدائرة الإسلامية أو خارجها.

٢- عدم الدخول إلى القرآن الكريم بمقررات سابقة حول الموضوع المراد بحثه.

فبعض من لا يرى إباحة تعدد الزوجات عندما يأتي إلى قوله تعالي: { وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُواْ فِي الْيَتَامَى فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاء مَثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ}(٣).

فإنه يشترط في إباحة التعدد شرطاً عجيباً، وهو أن يكن من نساء اليتامى، فلا يجوز عنده التعدد من غير النساء اليتامى(٤).

---

(١) أنظر: اتجاهات التجديد ، (ص ٣٨٠).

(٢) راجع شروط المفسر في: البرهان للزركشي (١٥٣/٢)، والإتقان (٢٢٥/٢).

(٣) سورة النساء (آية: ٣).

(٤) أنظر: أسباب الخطأ في التفسير، للدكتور طاهر محمود يعقوب (٨٣١/٢).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٣- لا ينبغي للباحث أن يبقى في إطار الألفاظ والنصوص، بل لا بد من ربط الموضوع بواقع المسلمين واحتياجاتهم ومشكلاتهم، لكي يصل إلى الموقف القرآني بشأن أي موضوع من مواضيع الحياة.

٤- المادة الأساسية لهذه الكتابة هو ما تجمع من خلال دراسة الآيات، أما ألأحاديث النبوية فدورها بعد التأكد من صحتها التوضيح والبيان والاستدلال ، حفاظاً على قرآنية الموضوع وكذلك أقوال الصحابة ومن بعدهم من أئمة اللغة فكلها مادة للشرح والتوضيح والترجيح[١].

ولا شك أن تجاهل ذلك والإعراض عنه يؤدي إلى ظهور دراسات إنشائية ثقافية بعيدة عن الطابع القرآني.

وبهذه الخطوات التي ذكرتها تجتمع أجزاء الموضوع وتكتمل صورته وترتسم لوحته، ويظهر جمال القرآن وروعته ،ونستطيع من خلال ذلك أن نقدم دراسات قرآنية، تبرز جانب من جوانب الإعجاز في هذا الكتاب.

---

(١) أنظر: مباحث في التفسير الموضوعي ، (ص٣٩).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المحور الثالث

القواعد والضوابط في منهجية البحث في الموضوع القرآني

تكلمنا في المحور السابق عن الخطوات والمراحل التي لا بد للباحث أن يلتزم بها عند بحثه في الموضوع القرآني، وفي هذا المحور سنتطرق إلى الحديث عن القواعد الأساسية والمنطلقات المنهجية التي يصدر عنها من يكتب في التفسير بشكل عام والتفسير الموضوعي على وجه الخصوص،والموضوع القرآني بوجه أخص لأنه نوع من تفسير القرآن بالقرآن سواء ما كان منه بالنص، أو بالاستنباط، وأن الخلل فيه يوقع في الكلام على الله بغير علم، وهو أيضاً فيه جانب من الاجتهاد بالرأي، الذي يجب أن يكون منضبطاً بالضوابط، التي اشترطها العلماء حتى يتجنب الباحث الوقوع في الخطأ والزلل.**وإليك بيان هذه القواعد والضوابط**:

أولاً: الالتفات إلى المقاصد الأساسية للقرآن:

إن أول شيء ينبغي الاهتمام به لمن يكتب في الموضوع القرآني معرفة مقاصد القرآن الكريم، وإدراك غاياته، والوقوف على أهدافه وما يرمي إلى تحقيقه في واقع الحياة، فمعرفة هذه المقاصد ابتداء تجعل لدى الباحث تصوراً عاماً حول موضوعات القرآن ومجالات اهتمامه والموضوعات التي يتناولها.وقد ذكر صاحب المنار في كتابه "الوحي المحمدي" للقرآن عشرة مقاصد(١)، وسجل الدكتور يوسف القرضاوي في كتابه "كيف نتعامل مع القرآن العظيم" سبعة مقاصد للقرآن الكريم(٢).

إن لهذا القرآن مقاصد وأهدافاً عظيمة يسعى إليها،ويحرص عليها من تصحيح العقائد والتصورات في مجال الإلوهية والرسالة واليوم الآخر، وتصحيح التصور عن الكون والحياة، وتصحيح التصور عن الإنسان وكرامته ورعاية حقوقه، وبناء الإنسان وصلاحه وتكوين الأسرة التي هي نواة المجتمع، وإنشاء الأمة التي تحمل أمانة الرسالة وتبلغها للناس كافة لتخرجهم بها من الظلمات إلى النور، قال تعالي: { كِتَابٌ أنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ}(٣)

(١) أنظر: الوحي المحمدي لمحمد رشيد رضا، ص (١٩٣ – ٣٤٩).

(٢) أنظر: كيف نتعامل مع القرآن العظيم، ص(٧٣) فما بعدها.

(٣) سورة إبراهيم: (آية ١).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ثانياً: مراعاة خصائص القرآن

القرآن كلام الله المنزل على قلب محمد صلي الله عليه وسلم، بلسان عربي مبين { نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ. عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ}(١) ، فالقرآن له من الخصائص ما ليس لغيره، فهو كلام معجز، تحدى الله بها الجن والأنس، والعرب خاصة { قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَـذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً}(٢) ، وإذا كان هذا شأن القرآن، فينبغي لمن يتصدى لتفسيره موضوعياً أن يراعي هذه الخصائص، وهي كثيرة منها على سبيل المثال:

١- أنه كتاب الله تعالى، الذي يتضمن كلماته إلى خاتم رسله وأنبيائه.

٢- أن الله تعهد بحفظه، وتولى ذلك بنفسه ،ولم يكل ذلك لأحد قال تعالى: { إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ}(٣)

٣- أنه معجز في لفظه ومعناه، وفي نظمه وأسلوبه، وفي تشريعه وأحكامه ،وفي أخباره وحقائقه.

٤- أنه غاية في الإتقان والإحكام، قال تعالى: { كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ}(٤)

فليس في القرآن كلمة مكررة لمحض التكرار(٥)، وإنما لا بد أن يكون هناك غرض حكيم ومعنى مقصود في كل موضع وليس في القرآن حرف زائد على الإطلاق، فجميع ألفاظ القرآن دالة على معان بليغة ،وحكم وأحكام بديعة ،والقرآن منزه أن يقع فيه لفظ لا معنى له(٦).

٥- أنه كتاب هداية ودلالة وإرشاد { وَإِنَّهُ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ }(٧)

فهو ليس كتاب علوم وفنون، وإنما ترد حقائق هذه العلوم من خلال الدعوة إلى الإيمان بالله وبيان قدرته وعلمه.

---

(١) سورة الشعراء (الآيات ١٩٣-١٩٤).

(٢) سورة الإسراء: (آية ٨٨).

(٣) سورة الحجر : (آية ٩).

(٤) سورة هود: (آية ٢)

(٥) راجع فوائد التكرار في: البرهان في علوم القران ، (١١/٣).

(٦) أنظر: الفتاوى لأبن تيمية، (٥٣٧/١٦).

(٧) سورة النمل (آية: ٧٧).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٦- أنه كتاب الزمن، فهو ليس خاصاً بعصر أو جيل، أو مؤقت بوقت محدد، بل هو كتاب الرسالة الخالدة، والمعجزة الباقية، وكلمات الله الهادية إلى البشرية جمعاء.(١)

ثالثاً: المحافظة على قرآنية الموضوع

يجب على الباحث أن يلتزم بالعناصر التي استخلصها من الآيات القرآنية في مرحلة الجمع، ولا يضيف إليها عناصر أخرى من أي مصدر آخر كالحديث والفقه والعقيدة والتاريخ واللغة، وذلك لكي نحافظ على قرآنية الموضوع،ولا يتحول من موضوع قرآني إلى دراسة قرآنية عامة أو دراسة إسلامية. هناك بعض الدراسات القرآنية المعاصرة وهي كثيرة جداً، مثل: "الإنسان في القرآن" و"المرأة في القرآن" لعباس محمود العقاد، و"اليهود في القرآن" لحمد عزة دروزه، و"خصائص التصور الإسلامي" لسيد قطب وغيرها، وهذه دراسات نافعة لأنها تبحث في موضوعات قرآنية وتعرض حقائق وتوجيهات القرآن لكنها ليست نماذج للتفسير الموضوعي بمعناه قرآنية الاصطلاحي لأنها لم تلتزم بمنهجية البحث في الموضوع القرآني .

وهنا يطرح سؤال حول وظيفة السنة ودورها في ا لتفسير الموضوعي ؟ ، فنقول أن السنة تأتي شارحة ومبينة لما في القرآن، ولا يصح أن تنشأ عنصراً جديداً إلى عناصر الموضوع القرآني.فإذا أردنا أن نكتب عن "التقوى في القرآن" فنأخذ عناصر الموضوع من القرآن، وتأتي أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم شارحة وموضحة للآيات القرآنية ، وكذلك أقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم – من باب أولى – لا تنشأ عنصراً إضافياً، وإنما تذكر من باب التعليق والشرح والبيان. وأيضاً ما يتعلق بأقوال أهل اللغة، والإعراب، والقراءات، كلها تأتي تبعاً لا غرضاً.

رابعاً: الالتزام بصحيح المأثور في التفسير

وهذا أمر مهم للباحث في الموضوع القرآني، فهو حين يجمع الآيات، ويفسرها لكي يستخرج عناصرها، ويؤلف بين أجزاء الموضوع، يجب عليه أن يلتزم بما صح وثبت من التفسير بالمأثور حتى تكون عناصر الموضوع كله على وجه صحيح لا اضطراب فيه ،وهذا يشمل:

(١) راجع هذه الخصائص في: كيف نتعامل مع القرآن العظيم، (ص١٧) فما بعدها، المدخل إلى التفسير الموضوعي (ص٧٦) فما بعدها.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أ- تفسير القرآن بالقرآن: ويعد من أقوى أنواع التفسير ، إلا أنه لا يقطع بصحته إلا إذا كان الذي يفسر القرآن هو الرسول صلى الله عليه وسلم، أو وقع عليه إجماع الصحابة، أو صدر عن أحد الصحابة ولم يعلم له مخالف، أما ماعدا ذلك فهو من قبيل الاجتهاد بالرأي.(١)

ب- ما ثبت من تفسير النبي صلى الله عليه وسلم، أو تفسير الصحابة، مثل: تفسير النبي صلي الله عليه وسلم للفظة "الظلم" في قوله تعالى: { الَّذِينَ آمَنُواْ ولَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ }(٢)، فإنه صلى الله عليه وسلم فسّره بالشرك(٣)، وأحال إلى قوله تعالى:{يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ }(٤)، فلفظة "الظلم" في الآية الأولى تصنف في موضوع "الشرك" لا في موضوع "الجور والاعتداء".

فهذا المثال من تفسير القرآن بالقرآن، وهو أيضاً من تفسير النبي صلى الله عليه وسلم للقرآن،هناك من كتب في التفسير الموضوعي للقصص القرآني(٥)، وذكر فيه كثير من الأساطير في خلق آدم عيه السلام، وقصص أخرى مما ليس له مستند صحيح من تفسير النبي صلى الله عليه وسلم، وإنما يدخل في باب الإسرائيليات التي حشيت بها كتب التفسير خصوصاً في قصص الأنبياء والأقوام السابقة.(٦)

خامساً: الأصل في فهم القرآن إتباع معهود العرب الذي نزل القرآن بلسانهم

كل ما ثبت من المعاني والألفاظ والأساليب، وكان عرفاً مستمراً عند العرب في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، وخلفائه الراشدين، وهو ما يسمى بالحقيقة الشرعية، فلا يصح العدول عنه في فهم خطاب القرآن.(٧) فلا عبره عند الباحث في الموضوع القرآني، وهو يرتب الآيات، ويؤلف الموضوع إلا بهذه المعاني إن وجدت، ولا يلتفت إلى المعاني الطارئة، ولا المصطلحات الحادثة في العلوم والمذاهب الفرعية والكلامية ونحوها، مما ظهر بعد عصر النزول والخلفاء الراشدين، فكثيراً ما تتطور دلالات الألفاظ والجمل والتراكيب بتطور العصور وتطور

---

(١) أنظر: قواعد التفسير، للدكتور خالد السبت،(١٠٩/١).

(٢) سورة الإنعام: (آية ٨٢).

(٣) أنظر: صحيح البخاري، كتاب التفسير، (٥٣٠/٥)، عن ابن مسعود مرفوعاً.

(٤) سورة لقمان (آية: ١٣).

(٥) أنظر: دراسات في التفسير الموضوعي للقصص القرآني، للدكتور أحمد جمال العمري ص (١٠٧) فما بعدها.

(٦) راجع: الموقف من الإسرائيليات في التفسير والمفسرون للذهبي (١٦٥/١) فما بعدها.

(٧) أنظر: الموافقات للشاطبي (٨٢/٢).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المعارف والعلوم واتصال الشعوب والحضارات، ويتدخل العرف أو الاصطلاح بإعطاء دلالات جديدة للألفاظ والجمل لم تكن معروفة في عصر التنزيل.

فكلمة الفقه مثلاً صار لها معنى اصطلاحي عند الفقهاء، ولكنه ليس بالمعنى القرآني الذي يطلق على فهم الدين كله كما جاء في قوله تعالى { لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي الدِّينِ}[١].

وفي عصرنا نجد أن كثيراً من الكلمات أصبح لها مدلول يختلف عن مدلول القرآن، فكلمة "السياحة" وردت في قوله تعالى: { التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ}[٢] في وصف المؤمنين، وفي قوله تعالى: { عَسَى رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجاً خَيْراً مِّنكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَاراً }[٣]، حيث جاءت وصفاً لزوجات النبي صلى الله عليه وسلم، وليس المراد بالسائحين والسائحات هنا ما نراه في عالم السياحة اليوم من تحلل في القيم الإسلامية وتقليد للغربيين.

ويدخل في هذا الباب أيضاً، ما يفعله بعض الباحثين من حمل ألفاظ القرآن على معاني مستحدثه في هذا العصر، لم تكن مرادة من النص يقيناً، مثل حمل كلمة "ذرة" التي وردت في القرآن على المعنى الاصطلاحي في علم الفيزياء ،أو تفسير السلطان الذي ورد في قوله تعالى: { لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ}[٤]، بسلطان العلم، والآية تشير إلى أن هذا التحدي يوم القيامة وسياق الآية يدل على ذلك[٥].

سادساً: اعتبار القرآن أصل يرجع إليه

قد يكون عند الباحث تصورات وأفكار استقاها من مصادر عديدة، وهذه التصورات والأفكار تعارض وتناقض بعض ما جاء في القرآن، فإذا دخل هذا الباحث القرآن بهذه الأفكار فإنه سيحاول أن يفرض نفسه على القرآن، يقسره قسراً على آرائه، وأهوائه، ويوجهه لتأييد ما نشأ عليه من معتقد، أو ما تبناه من فكر، أو ما اتبعه من مذهب. ولذلك ينبغي أن يكون موقف الباحث في الموضوع القرآني، موقف الملتقي الذي يهتدي بنور القرآن، ويجعل القرآن أصلاً ينطلق منه، يرجع إليه ويستمد منه، ويحكمّه عند الاختلاف. ومن الأمثلة لهؤلاء الذين دخلوا القرآن بمقررات

---

(١) سورة التوبة : (آية ١٢٢)

(٢) سورة التوبة: (آية ١١٢).

(٣) سورة التحريم :(آية ٥)

(٤) سورة الرحمن: (آية ٣٣).

(٥) أنظر: تفسير القرآن الكريم (مجموعة من السور) ، للشيخ ابن عثيمين ص (٣١٦).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

سابقة، فضلوا وخرجوا بنتائج خاطئة ذلك الذي يرى أن قوله تعالى: { لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ}(١)، لا يعني بالضرورة أن حصة الذكر هي ضعف حصة الأنثى فممكن أن تزيد أو تنقص حسب الظروف. وبعضهم عندما يفسر قوله تعالى: { وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُواْ أَيْدِيَهُمَا}(٢)، يرى أن قطع يد السارق فهم إنساني أملته الظروف في جزيرة العرب في عهد النبي صلي الله عليه وسلم، ويذهب بعضهم إلى أن قوله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَأْكُلُواْ الرِّبَا أَضْعَافاً مُّضَاعَفَةً}(٣)، لا تعني إلاّ ربا الجاهلية فهو المحرم دون سواه.(٤)

سابعاً: النظر الشامل للقرآن

الموضوع القرآني يقوم على النظر في كل ما ورد في القرآن الكريم حول موضوع ما أو قضية من القضايا من أجل الوصول إلى قاعدة كلية أو حكم عام، أو أصل جامع، لذلك ينبغي أن يكون النظر شاملاً، والاستيعاب كاملاً، لكل الآيات الواردة في الموضوع، ولا يقتصر على النظر على بعضها، دون بعض ،لأن ذلك يؤدي إلى الخروج بحكم خاطئ في الموضوع المراد بحثه، إن هذا النظر الشامل في الآيات القرآنية التي تتحدث عن موضوع ما تسهم في:

إعطاء صورة متكاملة واضحة المعالم عن الموضوع، فعلي سبيل المثال نجد القرآن عرض لمسائل كثيرة تتصل بالصلاة عن وجوبها، ومواقيتها، والحث عليها وعدم التشاغل عنها، وعن صلاة الجماعة وصلاة الخوف، وصلاة الجمعة والعيد، وغيرها من المسائل التي تؤدي مجتمعه إلى تقديم صورة متكاملة لموضوع الصلاة.(٥)

- إزالة التعارض المتوهم بين الآيات من خلال النظر الكلي لها، فالآيات التي تحدثت عن خلق الإنسان في القرآن، ربما يبدو من النظرة الأولى أنها غير منسجمة ولكنها حين تجمع وتنظر إليها جملة واحدة يتبين من خلال ذلك أنها تناولت مراحل مختلفة من خلق الإنسان.

- دفع الشبهات عن القرآن وإزالة سوء الفهم، الذي ينشأ من عدم اكتمال جوانب الموضوع الواحد عند بعض الناس.

---

(١) سورة النساء: (آية ١١).

(٢) سورة المائدة: (آية ٣٨).

(٣) سورة آل عمران: (آية ١٣٠).

(٤) أنظر: هذه الأمثلة وغيرها في القراءات المعاصرة للقرآن في ضوء ضوابط التفسير، للدكتور محمد كالوا، ص (٩٧) فما بعدها.

(٥) أنظر: الصلاة في القرآن الكريم، دراسة موضوعيه، رسالة دكتوراه، محمد عبد الله ظافر.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فمثلاً موقف القرآن من أهل الكتاب،فهناك آيات اثنت على أهل الكتاب، ودعت إلى حسن معاملتهم، وإباحة مناكحتهم ومؤاكلتهم، ومن جانب آخر هناك آيات تذم أهل الكتاب، وتفضح مخططاتهم، وتبين عداوتهم، وتدعو إلى مقاتلتهم ، فعندما نجمع كل الآيات القرآنية نخرج بدراسة قرآنية متكاملة في الموقف من أهل الكتاب تزيل سوء الفهم الذي ينشأ من النظرة الجزئية للموضوع.

ثامناً: الانطلاق من القرآن وربط الواقع به

القرآن كلام الله، وهو الحق المطلق، والصدق المطلق، والخير المطلق، والهدى المطلق، قال تعالى: { وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللّهِ حَدِيثاً}[1]، وقال تعالى: { وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللّهِ قِيلاً}[2] ، فعلى الباحث في الموضوع القرآني أن ينظر إلى القرآن بهذه النظرة، وينطلق من هذا المنطلق، حين يحاول أن يربط بين آيات القرآن وبين الواقع الذي يعيش فيه، فالقرآن هو المرجع وهو الكلمة الفصل في معالجة قضايا الواقع وحل مشكلاته، انطلاقاً من قوله تعالى: {فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماً}[3]

فقوله سبحانه وتعالى عن اليهود {ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُواْ إِلاَّ بِحَبْلٍ مِّنْ اللّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ}[4]، حكم قاطع دائم يبين أن اليهود ضربت عليهم الذلة والمسكنة، في كل زمان ومكان، واستثنى الله من ذلك، أن يكون هناك حبل من الله بالإمهال، وحبل من الناس وهم أعوان اليهود وأوليائهم في كل عصر وحبل العملاء بالتحالف معهم، وحبل الأمة الإسلامية بالضعف والخور والجبن وترك الجهاد ، هذه الحقيقة التي ذكرها القرآن يجب إنزالها على واقع المسلمين اليوم والانطلاق منها حين الحديث عن موضوع "الصراع مع اليهود" من خلال القرآن وذلك لمعرفة أسباب النصر والعمل على لإيجادها، ومعرفة أسباب الهزيمة لاجتنابها.

تاسعاً: تجنب الحشو والاستطراد والتعليق

الهدف من الموضوع القرآني هو إبراز موقف القرآن من قضية ما، فإذا استطرد الباحث وتوسع في التعليق، فإن ذلك يطغى على العناصر الأساسية للموضوع، وبذلك يخرج البحث من نطاق التفسير الموضوعي إلى أن يكون رأياً للباحث.فإذا أراد الباحث أن يناقش مسألة، أو يعلق

---

(١) سورة النساء: (آية ٨٧).

(٢) سورة النساء: (آية ١٢٢).

(٣) سورة النساء: (آية ٦٥).

(٤) سورة آل عمران: (آية ١١٢).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

على رأي ،أو يوضح إشكالاً ،أو يشرح لفظاً غريباً أثناء عرض الموضوع ،فلا مانع من ذلك بشرط أن لا يجعل ذلك في صلب الموضوع، وإنما يكون في الهامش، وأيضاً دون استطراد وتطويل حتى لا يطغى ذلك على الموضوع ذاته. فإذا تناول الباحث موضوع "قصة آدم في القرآن" فعليه أن يبقى في جو الآيات القرآنية، ولا يخرج إلى مباحث مطولة واستطرادات كثيرة مما يوجد في بعض كتب التفسير التحليلي، كالاستطراد في اشتقاق لفظة "الملائكة" والاختلاف في ذلك أو البحث في كيفية قول الله لملائكته، وجوابهم عليه، أو ذكر تفاصيل ما جرى بعد ذلك بين آدم وإبليس، وغير ذلك من المباحث المطولة التي امتلأت بها بعض كتب التفسير.

عاشراً: التدقيق قبل التأصيل والتقعيد

وأخيراً على الباحث في الموضوع أن لا يصدر حكماً ،أو يؤصل لقضية أو يقعد قاعدة إلا بعد النظر الكلي الذي يقوم على الاستقراء التام لكل الآيات القرآنية ومعرفة كل الألفاظ والأساليب الواردة فيها وكيفية استعمال القرآن لها.ولقد كان للعلماء اهتماماً وعناية بالكليات التي وردت في القرآن ،ومن هؤلاء الراغب في مفرداته، وقد جمعها في الفهرس محقق الكتاب.[١]

ومن أمثلة كليات الألفاظ قول أن عباس: كل شيء في القرآن رجز فهو عذاب.[٢] ، ومن أمثلة كليات الأسلوب، قول الشاطبي: إذا ورد في القرآن الترغيب قارنه الترهيب في لواحقه أو سوابقه أو قرائنه، وبالعكس ،وكذلك التوجيه مع التخويف [٣] ، وهذه الاطلاقات الكلية تبين مصطلحات القرآن في الألفاظ والأساليب، ولا تكون هذه الاطلاقات كلية إلا بعد استقراء القرآن كاملاً، وهذه الأحكام بعد الاستقراء، إما أن تكون كلية لا تنخرم، أو تكون منخرمة بأمثلة فتكون أغلبية.[٤] ، فقول بعضهم "كل شيء في القرآن "قليل" و"وإلاّ قليل" فهو دون العشرة".[٥]فهذا يخالف ظاهر القرآن نفسه في كثير من الآيات[٦]، ومن ذلك قوله تعالى: { وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ}[٧] فلو لم يدخل فيهم إلاّ الأنبياء لكفى، ولجاوزوا العد.

---

(١) أنظر: مفردات الراغب (ص ١١٨٨).

(٢) أنظر: تفسير الطبري (٣٠٦/١).

(٣) أنظر الموافقات (٣٥٨/٣)

(٤) أنظر: أضواء البيان (٥/٢).

(٥) أنظر: الإتقان (١٨٩/١).

(٦) أنظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن.

(٧) سورة سبأ (آية: ٢٣).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وبعد فهذه عشرة قواعد وضوابط ضرورية ، لابد للباحث في الموضوع القرآني أن يراعيها ويلتزم بها ويسير على هداها ، لكي يصل في بحثه عبر الخطوات والمراحل التي ذكرناها إلى هدفه المنشود وغايته المقصودة ، وهي إخراج الموضوع في صورة متكاملة ، تبرز عظمة هذا القرآن.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الخاتمة

الحمد الله الذي أتم عليّ نعمته ببلوغ الخاتمة في هذه الدراسة التي سلطت فيها الضوء على جانب من جوانب التفسير الموضوعي، وهو "منهجية البحث في الموضوع القرآني" عسى أن تسهم في إضافة مفيدة إلى الدراسات السابقة في هذا المجال، **وأود في نهاية المطاف أن أسجل أهم النتائج التي توصلت إليها:**

١- قمت بجولة سريعة حول تعريف التفسير الموضوعي وأهميته، وألوانه، وبيان معنى المنهجية، والفرق بينها وبين الاتجاه.

٢- بينت أن هناك دراسات سابقة في هذه المنهجية، وعمرها يقارب الأربعة عقود، وأنها بدأت متواضعة، ثم مازالت تنمو وتزهو حتى وصلت إلى مرحلة النضج، وقد اجتهدت في ترتيب هذه الدراسات حسب تسلسلها الزمني وذلك حسب علمي.

٣- اجتهدت في وضع مرحلية واضحة، محدد المعالم، لهذه المنهجية، كل خطوة تعتمد على سابقتها وتقود إلى لاحقتها، والمسألة لازالت تحتاج إلى مزيد من الدراسة والتأمل.

٤- وضعت عشر قواعد تضبط هذه المرحلية لكي تصل إلى الهدف المطلوب، وهو إبراز الموضوع القرآني بأجزائه المترابطة وصورته المتكاملة، حتى لا يخرج عن مساره الصحيح.

وأختم بأهم التوصيات:

١- ضرورة متابعة الكتابة في هذه المنهجية، والمزيد من التأصيل والتقعيد لها، حتى تستوي على سوقها.

٢- ضرورة متابعة الجانب التطبيقي لهذه المنهجية، لأنه بالتطبيق تظهر صحة هذه المنهجية و يستبين كثير من الثغرات التي يمكن أن تصحح.

وآخر دعوانا أن الحمد الله رب العالمين،،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المراجع والمصادر

١- الإتقان في علوم القرآن، للإمام جلال الدين السيوطي، دار المعرفة، بيروت، ط٤، ١٣٩٨هـ.

٢- الإعلام، لخير الدين الزر كلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط٩، ١٩٩٠م

٣- اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم، الدكتور محمد إبراهيم الشريف، دار السلام، مصر، ط١، ١٤٢٩هـ.

٤- اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر الهجري، الدكتور فهد عبد الرحمن الرومي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤١٤هـ.

٥- أسباب الخطأ في التفسير، دراسة تأصيلية، الدكتور طاهر محمود يعقوب، دار ابن الجوزي، الدمام، ط١/ ١٤٢٥هـ.

٦- إصلاح الوجوه والنظائر، للإمام الحسين بن محمد الدامغاني، تحقيق عبد العزيز سيد الأهل، دار العلم للملايين، بيروت، ط٢، ١٩٧٧م.

٧- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للشيخ محمد الأمين الشنقيطي، طبع على نفقة صاحب السمو الملكي أحمد بن عبد العزيز، ١٤٠٣هـ.

٨- البداية في التفسير الموضوعي، للدكتور عبد الحي الفرماوي، مطبعة الحضارة العربية، القاهرة، ط٢، ١٩٧٧م.

٩- البرهان في علوم القرآن، للإمام بدر الدين الزركشي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، ط٢، ١٣٩١هـ.

١٠-تأملات في التفسير الموضوعي، للدكتور أحمد بن محمد الشرقاوي، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤٣٠هـ.

١١-التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م.

١٢-تفسير القرآن العظيم ، للحافظ ابن كثير، تحقيق عبد العزيز غنيم ومحمد عاشور ومحمد البنا، مكتبة دار السلام.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

١٣-تفسير القرآن العظيم (مجموعة من السور)، لفضيلة الشيخ محمد صالح العثيمين، دار الثريا، الرياض، ط١، ١٤٢٥هـ.

١٤-تفصيل آيات القرآن الحكيم، وضعه بالفرنسية جول لابوم، نقله إلى العربية محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٩٦٩م.

١٥-التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، الدكتور أحمد الكومي، والدكتور محمد القاسم، ١٤٠٢هـ.

١٦-التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، للدكتور صلاح الخالدي، دار النفائس، عمان، ط٢، ١٤٢٨هـ.

١٧-التفسير الموضوعي التأصيل والتمثيل، للدكتور زيد عمر العيص، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤٢٦هـ.

١٨-التفسير الموضوعي في كفتي الميزان، للدكتور عبد الجليل عبد الرحيم، عمان، ط١، ١٩٩٢م.

١٩-التفسير الموضوعي نظرية وتطبيقاً، الدكتور أحمد رحماني، منشورات جامعة باتنه، الجزائر.

٢٠-التفسير والمفسرون، للدكتور محمد حسين الذهبي، دار الكتب الحديثة، مصر، ط٢، ١٣٩٦هـ.

٢١-الجامع الصحيح، للإمام محمد بن إسماعيل البخاري، دار الفكر بيروت، ط١، ١٤١١هـ.

٢٢-جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٨هـ.

٢٣-الجامع لأحكام القرآن، للإمام القرطبي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٣هـ.

٢٤-دراسات في التفسير الموضوعي للقصص القرآني، الدكتور أحمد جمال العمري، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٤٠٦هـ.

٢٥-دراسات في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، الدكتور عبد المنعم القصاص، مطبعة الحسين، القاهرة، ط١، ١٤١١هـ.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٢٦- الصلاة في القران الكريم ، دراسة موضوعية ، رسالة دكتوراه ، محمد عبد الله ظافر، جامعة أم القرى ، ١٤٢٩ هـ ..

٢٧-فيض الرحمن في التفسير الموضوعي للقرآن، الدكتور توفيق علوان، مكتبة الرشد، الرياض، ط٢، ١٤٢٧هـ.

٢٨-القاموس المحيط، لمجد الدين محمد ابن يعقوب الفيروز آبادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ.

٢٩-قواعد التفسير جمعاً ودراسة، الدكتور خالد السبت، دار أبن عفان، مصر، ط١، ١٤٢١هـ.

٣٠-القراءات المعاصرة في ضوء ضوابط التفسير، الدكتور محمد كالو، دار اليمان، سوريا، ط١، ١٤٢٠هـ.

٣١-كيف نتعامل مع القرآن الكريم، للدكتور يوسف القرضاوي، دار الشروق، مصر، ط٣، ١٤٢١هـ.

٣٢-لسان العرب، لابن منظور، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ.

٣٣-معجم مقاييس اللغة،أحمد بن فارس، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١١هـ.

٣٤-مباحث في التفسير الموضوعي، للدكتور مصطفي مسلم، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤١٠هـ.

٣٥-المدخل إلى التفسير الموضوعي، للدكتور عبد الستار فتح الله سعيد، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، ط٢، ١٤١١هـ.

٣٦-مجلة الجامعة الإسلامية بغزة، سلسلة الدراسات الإنسانية، المجلد الثاني عشر، العدد الأول، ٢٠٠٤ م .

٣٧-المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، للقاضي عبد الحق ابن عطية الأندلسي، تحقيق المجلس العلمي بفاس، مكتبة ابن تيمية، ١٤١٣هـ.

٣٨-معجم الأدوات والضمائر في القرآن الكريم، الدكتور أحمد عمايرة، والدكتور عبد الحميد السيد، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٠٧هـ.

٣٩-المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، دار المعرفة، بيروت، ط٤، ١٤١٤هـ.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٤٠- المعجم الموضوعي لآيات القرآن الكريم، حسان عبد المنان، بين الأفكار الدولية، دمشق.

٤١- الموافقات في أصول الفقه، للإمام الشاطبي، دار المعرفة، بيروت.

٤٢- مفردات ألفاظ القرآن،للراغب الأصفهاني،تحقيق صفوان داوودي،دار القلم،دمشق،ط٢،١٤١٢هـ

٤٣- مجموع فتاوى ابن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن النجدي، مكتبة ابن تيمية.

٤٤- المنافقون في القرآن الكريم، الدكتور عبد العزيز الحميدي، دار المجتمع، جدة، ط١، ١٤٠٩هـ.

٤٥- منهجية البحث في التفسير الموضوعي، للدكتور زياد الدغامين، دار البشير، عمان، ط١، ١٩٩٥م.

٤٦- مناهج تجديد في النحو والبلاغة والأدب والتفسير، أمين الخولي، دار المعرفة، القاهرة،١٩٦١ م.

٤٧- منهج التفسير الموضوعي، (دراسة نقدية)، الدكتور سامر رشواني، دار الملتقى، سوريا، ط١، ١٤٣٠هـ.

٤٨- نزهة الأعين النواظر في معرفة الوجوه والنظائر، للإمام ابن الجوزي، تحقيق محمد الراضي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤٠٥هـ.

٤٩- الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، لمقاتل بن سليمان البلخي، تحقيق حاتم الضامن، مركز جمعة الماجد، دبي، ط١، ١٤٢٧هـ.

٥٠- الوحدة الموضوعية في القران الكريم ، الدكتور محمد محمود حجازي ، دار الكتب الحديثة، القاهرة ، ط١، ١٩٧٠ م .

٥١- وقفات مع نظرية التفسير الموضوعي، للدكتور عبد السلام اللوح، بحث منشور في مجلة الجامعة الإسلامية، المجلد الثاني عشر، العدد الأول، ٢٠٠٤م.

٥٢- الوحي المحمدي، لمحمد رشيد رضا، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، بيروت، ط٣، ١٤٠٦هـ.

٥٣- الوحدة الموضوعية في القران الكريم ، الدكتور محمد محمود حجازي ، دار الكتاب الحديثة، القاهرة ، ط١، ١٩٧٠ م .

٥٤- الهداية في القرآن، للدكتور العباس الحازمي، سلسلة أبحاث قرآنية تصدرها الجمعية السعودية للقرآن الكريم.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com